



اغفر لى

شريف شوقى

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
بالفجالة . القاهرة . ت ٩٠٨٤٥٥

هذه السلسلة ..

عندما تتحوّل حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..

وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..

يتوق قلب كل منا إلى الحبّ .. الحبّ الذى يروى هذه المشاعر .

فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب.. وفى لحظات الكراهية.. وفى لحظات الجفاف.. فتشيع عبيرها الفوّاح في ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شيء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذي طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

١ ـ الأصدقاء الثلاثة ..

وقفت (غادة) تشرف بنفسها على إعداد مائدة الإفطار ، التى كانت تتألف من العديد من الأطعمة الريفية الشهية ، التى يشتهر بها الريف المصرى ، مثل الفطير المشلتت ، والخبز الشمسى ، والجبن القريش ، والعسل الأبيض ، والقشدة ، إلى اخر هذه الأطعمة ، التى قد لا يوجد لبعضها مثيل فى الدول والبلدان الأخرى وكانت سعيدة لمشاركتها فى إعداد هذا الطعام بنفسها .. برغم الحياة المترفة التى عاشتها ، وقد ولدت لأسرة ثرية .. فتوفرت لها كل أسباب الراحة ، والحصول على كل ما تشتهيه نفسها ، إلا أنها كانت تميل أحيانًا ، وبرغم وجود من يقوم على خدمتها دائمًا ، إلى ممارسة بعض الأعمال المنزلية بنفسها .. وخاصة إعداد الطعام .. سواء كان ذلك النوع الذى تشتهر به موائد الطبقات الراقية ، أو أية أطعمة شعبية ، أو ريفية . فلم تكن تأنف من ذلك .. وكثيرًا ما كانت تطلب من خادمتها ، أو من الطباخ الذى يعمل فى خدمتهم بالقاهرة أن يعلمها طريقة إعداد بعض أنواع من الأطعمة التي تجهلها ، أو تجهل طريقة صنعها ، وذلك كلما سمعت عن أحد أنواع هذه الأطعمة .

بل كانت تتعمد كثيرًا أن تصرف الطباخ ، وتدخل إلى المطبخ بنفسها لاعداد الطعام ، وخاصة عندما يأتى (سمير)

لزيارتهم ، وتناول الطعام معهم .. كما فعلت اليوم وأصرت على إعداد الإفطار بنفسها .

فقد جاء (سمير) لزيارتها هى وأخيها (مجدى) وقضاء بضعة أيام معهم فى المزرعة ، كما اعتاد أن يفعل دائمًا فى الإجازات والعطلات .

و (سمير) هو رفيق الصبا لها ولأخيها ، منذ كانوا أطفالاً صغارًا .. وهو فى عمر أخيها حيث يكبرها بثمانى سنوات .

ومنذ أن تفتحت عيناها على معانى الأشياء .. وهى تشعر بإعجاب شديد تجاه (سمير) سرعان ما تطور إلى حب صامت من جانبها ..

وكثيرًا ما حاولت أن تلمح له بما تكنه له من مشاعرها .. بقدر ما يسمح به حياؤها كأنثى .. ولكنه كان يتجاهل هذه التلميحات .. وكانت تشعر أنه يفعل ذلك أحيانًا عن عمد .

وغريزتها كفتاة لم تخطئها .. فكثيرًا ما رأت فى عينيه وميضًا سريعًا خاطفًا ، ينم عن أنه يحمل لها ما هو أكثر من الصداقة وذكريات الطفولة السعيدة .. وطالما لمحت فى نظراته المختلسة إليها ، ما أثار حيرتها .. خاصة عندما تفاجئه وهو يرمقها بهذه النظرات . إن فيها ما يكشف عن إعجابه الشديد بها .. بل ما يزيد على الإعجاب . لقد كانت نظرات مفعمة بالحب .. إلا إذ كانت عاطفتها القوية نحوه هى التى تصور لها ذلك .. وتخدعها بما هو غير حقيقى .

ولكن .. لا .. لا يمكن أن تكون مخدوعة فى عواطفها إلى هذا الحد .. لابد أنه يحمل لها فى أعماقه بعض ما تحمله من مشاعر . إن هذا يبدو جليًا فى نظرات عينيه .. وفى لمسات يديه السريعة .. وفى ارتباكه المتكرر كلما سمحت الظروف بانفرادهما سويًا . وهى تعرف العقدة الحقيقية التى تفصل بينهما ، وتجعله حريصًا على أن يضع المسافات والحدود ، التى تحول دون أن يعبّر كل منهما بمشاعره نحو الآخر .

لقد نشأ (سمير) إنسانًا عزيز النفس .. شديد الحساسية .. وكبرياء وكرامة ، يبدو فيها شىء من التطرف أحيانًا . وبرغم الصداقة المتينة التى ربطت بينه وبين أخيها (مجدى) ، إلى حد أنهما كانا أحيانًا لا يفترقان .. ومعاملة المرحوم والدها له كما لو كان أحد أبنائه ، بالإضافة إلى أنهم طوال السنوات التى جمعتهم معًا ، لم تحاول هى أو أخوها إثارة حساسيته بأى كلمة ، أو تصرف يدل على الفارق الطبقى أو المادى بينهما ، وبينه ، إلا أنه لم ينس أبدًا أن أباه كان يعمل مشرفًا زراعيًا (ناظر عزبة) على الأراضى الخاصة بأبيها .. وأنه ابن ناظر العزبة .. وأن هناك فارقًا اجتماعيًا وماديًا كبيرًا يفصل بينهما ، وإنما كان يذكر نفسه دائمًا بهذا الفارق ،

ويتعمد أن يذكره أمامها دون مبرر .. ربَما ليذكرها بما يحول دون تلاقيهما .. ويجعله يحجم عن تخطى حدود الصداقة بينهما . وكثيرًا ما كانت تقول أمامه إن الزمن قد تغير .. وإن ما كان يصلح فى عصر الجدود ، وقد كان جدودها من البشوات وكبار الإقطاعيين فى هذه البلدة .. وفى عصر المرحوم أبيها (رفعت بك ذهنى) لم يعد قائمًا فى الزمن الحالى .. حيث انـقضى عصر البـاشوات والبكوات .. وكبار الإقطاعيين .. وأصبحت القيمة للشهادة الدراسية والجهد الفردى ، وكان يسخر منها قائلًا :

ـ يا لك من فتاة خيالية .. إنك تنسين أن لكل عصر باشواته وبكواته .. وأنه لم يحدث تغيير كبير عدا اختلاف الألقاب .. وحتى هذه لم تعد مثار خلاف فى عصرنـا الحالى .. فقد عادت الألقاب لتطل علينا من جديد .. فأصبح أصحاب المال والثراء والنفوذ هم باشوات العصر .. دون الحصول على هذه الألقاب بصفة رسمية ، كما كان يحدث فى الماضى .

لقد تخرج من نفس الكلية التى تخرج منها أخوها .. وأصبح شريكًا فى مكتب للمحـاسبـة هو واثنـان من أصدقائه .. ومازال الصديق الحميم لأخيها ولها . كما أن أباه الذى كان يعمل أجيرًا لدى أبيها .. لم يعد هو نفس

الأجير .. وإنما أصبح الآن مالكًا لستة أفدنة ، بعد أن ترك الخدمة لديهم . وها هو يأتى إليهم ليقضى معهم أوقاتًا طويلة فى اللهو والمرح .. ولكنه مع ذلك لم ينس أنه ابن عم (محمود) المشرف الزراعى .. بينما هى ابنة (رفعت بك ذهنى) صاحب الأراضى والعقارات والملايين ، التى أورثهما لها ولأخيها سليل الحسب والنسب ، وابن (زهدى باشا فهمى) إلى آخر شجرة العائلة .

إنه ابن فلاح ، وجدوده من الفلاحين .. وإن كان لا يعدّ من الفقراء والمعوزين ، بل إن دخله الآن يعدّ مناسبًا لشخص ينتمى إلى الطبقة المتوسطة .. وأصبح ميسور الحال .. إلا أن الهوة مازالت واسعة بينه وبينها ، فمازالت تنتمى إلى أسرة عريقة اجتماعيًا وماديًا ، ومازال هو ابن عم (محمود) الفلاح الذى استطاع بكده وعرقه أن يصبح ناظر زراعة .

وهى فقدت والديها فى سن مبكرة ، فتولى أخوها رعايتها .. ولم تفسده الثروة ولا الحياة المنعمة التى عاشها ، فتولى المسئولية بكل تفانٍ ورجولة . وبرغم ثرائه الطائل ، ووسامته التى جعلته مطمعًا للعديد من الفتيات الجميلات من أسر عريقة ، إلا أنه أبى أن يتزوج قَبل أن تتزوج أخته أولا ، وعمل على رعايتها بكل حنان

وإخلاص ، فتولى أمرها كما لو كان والداها مازالا أحياء وأنساها بحنانه ورعايته يتمها .. وهى أيضًا أحبته وولته كل شئونها ، بما فى ذلك نصيبها من ميراث أبيها ، لكى يعمل على إدارته وتنميته .. ولم يقصر فى ذلك مطلقًا ، كما لم يحاول أن يحرمها من أى شىء ترغبه .

لقد اكتفت (غادة) بالحصول على ليسانس الآداب .. ولم تسع إلى العمل ، مكتفية بالدخل الكبير الذى كان يعود عليها ، من حصتها فى شركة أبيها ، ونصيبها من الأراضى الزراعية والعقارات ، وكانت كثيرًا ما تطلب من أخيها ، أن يودع جزءًا كبيرًا من هذا الدخل ، الذى كان يكفيها ويزيد فى البنك باسمها .

ولقد أتى (سمير) إلى الريف لقضاء عطلة آخر الأسبوع ، بين أحضان الطبيعة بعيدًا عن القاهرة المزدحمة ، ليلتقى بأبيه وصديقه (مجدى) . وكان (مجدى) يحب الريف حبًا عظيمًا .. ويتطلع دومًا إلى الحضور إلى المزرعة كلما سنحت الفرصة لذلك . ولم تكن (غادة) بأقل منهما حبًا للريف .. الذى كانت تجد فيه طفولتها وذكرياتها .. وذلك الصفاء الذى تفتقده فى المدينة .. وفى أروقة النادى ، وتلك الحفلات الاجتماعية السخيفة التى تضطر إلى ارتيادها ، مجاملة لأخيها ولمعارفها .

وتنهدت (غادة) .. وهى ترقب (سمير) و (مجدى) وهما مقبلان يركضان وقد ارتديا زى التدريبات الرياضية .. كعادتهما كلما جاءا إلى المزرعة . فينطلقان فى منافسات صبيانية .. مثل الجرى .. ولعب كرة القدم أحيانًا ، والتنس أحيانًا أخرى . وها هما قد أقبلا من منافسة فى الركض حول المزرعة . وسمعت (مجدى) يلهث رافعًا يده ، ومعلنًا انتصاره .. و (سمير) يلحق به وهو يلهث بدوره .. ولكن دون أن تفارقه ابتسامته الساحرة ، وقد بدا سعيدًا بتفوق صديقه .. وفى تلك اللحظة أقبلت الخادمة لتقدم لها برقية ، قائلة :

ـ برقية لك يا سيدتى .

فضت (غادة) البرقية فقرأت فيها : « عدت اليوم .. أريد أن أراك الأربعاء القادم .. سأنتظرك فى كافتيريا فندق الميرديان الساعة السابعة مساءً .. يجب ألا تتخلفى عن الميعاد » . (كمال)

ووقفت (غادة) برهة شاردة ، وقد أحست برعدة تسرى فى جسدها . ثم سرحت ببصرها فى الفضاء الممتد أمامها ..

لقد عاد (كمال) ..

عاد بعد أن ظنت أنها لن تراه مرة أخرى .. وبعد أن توهمت أنها قد دفنت الماضى إلى الأبد .. ونزعت برحيله صفحة سوداء من حياتها .

ولكن ترى لماذا يريد منها أن تقابله ؟ وما الذى يريده منها ، بعد كل تلك السنين التى انقضت منذ فراقهما ؟ وما الذى يتعين عليها أن تفعله ؟

أتذهب للقائه ؟

إنها تشعر بالفزع لاضطرارها لهذا ، وهى بالفعل مضطرة لذلك .. ولا يمكنها سوى أن تذهب إليه .. فهى تعرف (كمال) جيدًا .. إنه يصر دائمًا على ما يريده .. ولا يتورع عن فعل أى شىء فى سبيل تحقيق هدفه . بل إنه لن يتورع عن الذهاب إليها أينما كانت .. حتى لو كانت فى هذه المزرعة ، إذا ما أخلفت الميعاد الذى حدده لها .

وسمعت صوت باب المنزل وهو يفتح ، وقد دخل (مجدى) بصخبه المعتاد وخلفه (سمير) وكانا ما زالا يلهثان من أثر الركض .

ونادى (مجدى) أخته قائلًا :

ـ (غادة) .. أين أنت ؟ هل الفطور جاهز ؟

أجابته قائلة :

ـ لقد تم إعداد المائدة وكل شىء جاهز هنا فى الشرفة .

ـ حسن سيأخذ كل منا حمامًا .. ثم نأتى لنلتهم هذا الطعام عن آخره ، فأنا أشعر بأننى لم أتناول طعامًا منذ عدة شهور بسبب تلك المسافة التى قطعناها .

قال (سمير) مازحًا :

ـ يا لك من شره .. أتريد أن تفقد ثلاثة كيلوجرامات ، لتعوضها بعشرة .

ـ إننى مستعد للتضحية بأى شىء فى سبيل التهام هذا الطعام الريفى الشهى .

كانت (غادة) ما زالت واقفة فى مكانها وهى شاردة .. تستعيد إحدى عبارات البرقية « أريد أن أراك » لقد كانت تهرع للقائه فى الماضى بمجرد إشارة منه ، أو اتصال تليفونى .. أما الآن فهى تفزع من مثل هذا اللقاء .

مزقت البرقية وألقت بها فى الموقد .. وهى التى كانت تحرص على حفظ خطاباته التى كان يكتبها لها .. والتى عادت فيما بعد فأحرقتها .

وبعد قليل حضر (سمير) و (مجدى) ليلتفا حول مائدة الإفطار وهما يقبلان على الطعام فى نهم .

وقال (مجدى) لصديقه :

ـ ما رأيك فى هذا الطعام الريفى الرائع ؟

ـ وهل ستخبرنى عن الطعام الريفى ؟ إننى أنتظر نهاية الأسبوع والعطلات الرسمية لأتذوق هذا الطعام ، الذى حرمتنى منه حياة القاهرة .

- أتعرف أن كل هذه الأطعمة من صنع يد (غادة) ؟.. لقد صممت على أن تتولى أمر الإفطار بمفردها اليوم ، إنها تريد أن تثبت لنا مهارتها .. وأن الحياة الأرستقراطية التى تحياها ، لم تؤثر فى مهارتها كستّ بيت بعد .. ووقت اللزوم أحيانًا .

- تسلَمْ يداها .. إن (غادة) دائمًا متفوقة فى أشياء كثيرة .

- طبعًا .. أنت دائمًا تشهد لها .

تطلع (مجدى) إلى وجه أخته منزعجًا ، وقد رأى هذا الشحوب الذى يعلو وجهها ، وقد بدت شاردة عما يقولانه .. فسألها قائلًا :

- (غادة) .. ماذا بك .

تنبهت (غادة) إلى سؤال أخيها .. فقالت وهى ما زالت شاردة :

- هه .. ماذا تقول ؟

- لقد سألتك ماذا بك ؟ إنك تبدين على غير ما يرام ؟

انزعج (سمير) بدوره عندما رآها على هذا النحو .. فسألها قائلًا :

- هل صدر من أحدنا .. ما ضايقك ؟

رسمت ابتسامة زائفة على وجهها ، وهى تقول :

- أبدًا .. لا شىء .. لقد شعرت فقط بتعب مفاجئ .

هب (سمير) واقفا ، وهو يقول :

- هل أستدعى لك طبيبًا ؟

قالت سريعًا :

- كلّا .. إن الأمر لا يستدعى ذلك .. لقد كان مجرد تعب عارض وزال الآن .

- هل أنت متأكدة من ذلك ؟

- ليس هناك ما يدعو إلى انزعاجكما على هذا النحو .. هيًا أكملا إفطاركما .. فقد بذلت جهدًا كبيرًا فى إعداده .

- ولكنك لا تأكلين .

تظاهرت بأنها تتناول الطعام قائلة :

- حسن .. ها أنا آكل .. دعونى أر كيف تأتيان على هذه المائدة .

أحست من نظرات (سمير) أنه ما زال قلقًا عليها .. فحاولت تغيير محور اهتمامه قائلة :

- لقد رأيت أن (مجدى) كسب منك هذا السباق .

- لقد استغل فرصة تعثرى فى أثناء الركض ليربح السباق .

قال (مجدى) :

- كفاك تحججًا ، واعترف بأننى أسرع منك .

انتهوا من تناول طعام الإفطار، حيث أحضرت لهم الخادمة الشاى ليتناولوه، وهم يتطلعون إلى الحديقة الزاخرة بأنواع مختلفة من الزهور، والممتدة على مدى بصرهم. وغاصت (غادة) فى مقعدها وقد مدت ساقيها أمامها .. وقد عادت لتفكر فى ذلك الموعد الذى ضربه لها (كمال) .. والذى أفسد عليها بهجتها، فى حين تنهد (مجدى) وهو يتطلع إلى الحديقة الممتدة أمامه قائلًا :

- إننى لا آسف لشىء قدر أسفى لمغادرة هذا المكان الرائع فى كل مرة آتى فيها هنا .

ابتسم (سمير) قائلًا :

- من يسمعك تتحدث هكذا .. يظن أن أمامه شاب رومانسى حالم هائم فى جمال الطبيعة وليس رجل أعمال له اسمه ووزنه فى سوق المال والتجارة .

وعاد (مجدى) يقول :

- صدقنى .. برغم النجاح الذى تتحدث عنه، فإننى أكثر ميلًا إلى الحياة الهادئة البعيدة عن صخب المدينة والصراع المادى والنفاق الاجتماعى، الذى تضطرنى إليه حياتى فى القاهرة، ولولا أن استمرار هذه المؤسسة التجارية التى أنشأها أبى، وامتدادها من بعده كانت هى وصيته الوحيدة لى .. لتخلصت منها بالبيع .. واكتفيت

بالإقامة هنا، وبالأراضى التى خلفها لنا هنا .. فهنا أجد نفسى أكثر من أى مكان آخر .

وعلق (سمير) على ذلك بقوله :

- وهذا ما يعجبنى فيك يا (مجدى) .. فبرغم النجاح الذى حققته فى حياتك العملية فى القاهرة .. فأنت لم تنس أصلك الريفى الذى تمتد جذوره إلى جدودك .. ولم تؤثر عليك حياتك فى القاهرة .. برغم أنك قضيت معظمها فى المدينة، إنك لم تختلف كثيرًا عن الصبى الذى عرفته منذ أكثر من عشرين عامًا .. برغم أنك خضت مجال تجارة الأعمال بنجاح وتفوق .. لو رآه المرحوم والدك لافتخر بك .

- ومع ذلك .. فلا تظن أن الأمر سهل .. إننى أواجه العديد من المشاكل والمتاعب على حساب حالتى الصحية والنفسية، للاستمرار فى هذا النجاح والتفوق الذى تتحدث عنه .

ونظر إلى أخته قائلًا :

- ما رأيك لو بقينا هنا بضعة أيام أخرى ؟

- وأعمالك فى القاهرة ؟

- سأتصل بـ (مدكور) لكى يتولى إعادة ترتيب مواعيدى، وتسوية بعض الأمور حتى نعود .

والتفت إلى (سمير) قائلًا :

- وأنت ما رأيك يا (سمير) ؟

- أنا لابد أن أعود إلى القاهرة .. فلدى أعمال لا تحتمل التأخير .

اعتدلت (غادة) فى جلستها قائلة :

- وأنا أيضًا لدى موعد فى القاهرة لاأستطيع أن أخلفه .

وعادت إلى شرودها ..

* * *



٢ - مشاعر صادقة ..

أستأذن (مجدى) منهما ليجرى اتصالًا تليفونيًا، فدنا (سمير) بمقعده من مقعدها قائلًا :

- هل أنت متأكدة أن التعب الذى كنت تشعرين به قد زال؟

ابتسمت ابتسامة شاحبة قائلة :

- نعم .. ليس هناك ما يدعو إلى القلق :

تطلعت إليه قائلة :

- وأنت ما أخبارك .. إنك قليل الحديث عن نفسك .

- إننى بخير .. أحوال المكتب رائجة هذه الأيام والحمد لله، وقد بدأنا فى استلام بعض الأعمال ...

قاطعته قائلة :

- إننى لا أتحدث عن العمل .. بل عنك أنت .

- تقصدين حياتى الشخصية .. لا أعتقد أن فيها ما يستحق أن يقال .

- ألا ترى أنك تبالغ قليلًا ؟.. إنك شاب .. ووسيم .. ألا توجد أية أمور عاطفية قد طرأت على حياتك فى الآونة الأخيرة ؟ أم أننى لم أعد الصديقة التى تؤتمن على أسرارك ؟!

ـ لو كانت هناك أية أشياء من هذا القبيل لأخبرتك بها .

ـ ولكنك يا (سمير) قاربت الثلاثين من العمر ، ألا يتعين عليك أن تفكر جديًا فى الزواج .. وتكوين أسرة ؟

ضحك (سمير) قائلًا :

ـ ولماذا لا توجهين هذا الحديث إلى أخيك ؟

ـ (مجدى) أيضًا يحيرنى فى هذا الأمر .. وحجته فى ذلك أنه يريد أن يطمئن على زواجى أولًا .. قبل أن يفكر هو فى الزواج .

ـ وأنا أيضًا سأنتظر حتى أراك عروسًا أولًا .

نظرت إليه وفى عينيها نظرة لوم وعتاب قائلة :

ـ إذن ستنتظر طويلًا .

خفض (سمير) بصره إزاء نظرتها قائلًا :

ـ لماذا يا (غادة) ؟ لقد تقدم لك الكثيرون ، وكلهم لا يعيبهم شىء من حيث الثروة والمركز الاجتماعى والأسرى .. لماذا تصرين على الرفض دائمًا ؟

ـ لأننى أحب إنسانًا غبيًا لا يقدر قيمة عواطفى نحوه .

صمت (سمير) برهة ، وقد أدرك من نظرتها إليه أنها تعنيه بهذا القول .. ها هى قد عادت تلمح له مرة أخرى بما يعجز عن التجاوب معه .. فقال لها :

ـ هل تعرفين ماذا كان يقول لى (مجدى) هذا الصباح ؟

وتنهدت قائلة ، وقد أحست بأنه يسعى إلى الهرب مرة أخرى كعادته كلما حاولت أن تلمح له بمشاعرها نحوه :

ـ ماذا كان يقول ؟

ـ كان يقول إنك تستحقين أميرًا أو مليونيرًا .

ـ وماذا إذا لم أحب هذا المليونير أو الأمير الذى تتحدث عنه ، وفضلت عليه شخصًا آخر .. ابن فلاح من هذه القرية مثلًا ؟

تسارعت دقات قلبه .. وهو يراها تحاول أن تعبر له عن مشاعرها بطريقة أكثر وضوحًا .. ولم يملك سوى الصمت ليرد به على نظراتها التى تقول بأكثر مما يعبر لسانها .

فسألته قائلة :

ـ ألا تقول شيئًا ؟

ـ أقول إنك خيالية بعض الشىء .. فلم تعد قصة الشاطر حسن الذى يتزوج الأميرة تناسب هذا العصر .

ـ إننى لست ممن يتهافتن على المال وأصحاب الثراء .

ـ لأنه متوافر لك بالفعل .. ولكن يتعين عليك على الأقل ، أن تتزوجى ممن يتساوى معك اجتماعيًا وماديًا .

قالت له بغضب وانفعال ظاهر ، وهى تراه يضع العقبات بينهما :

ـ حسنٍ .. أغلق هذا الموضوع .. ولنتحدث فى أى موضوع آخر .

ساد الصمت بينهما لبرهة .. قبل أن يقول :

ـ هل ستعودين إلى القاهرة غدا ؟

قالت وقد أشاحت بوجهها عنه :

ـ نعم .. ولا شأن لك بذلك .

ابتسم لغضبها الطفولى قائلًا :

ـ هل أنت غاضبة منى ؟

أجابته دون أن تنظر إليه قائلة :

ـ وما الذى يدعونى إلى الغضب منك ؟ هل قلت شيئًا يغضبنى ؟

ساد بينهما الصمت برهة أخرى قبل أن يقول مازحًا :

ـ إننى أقول لو أنك غاضبة منى مثلًا .. أستطيع أن أصالحك .. فمثلًا ماذا لو دعوتك لتناول العشاء معى فى أحد مطاعم القاهرة بعد عودتك .

ولم تصدق الفتاة أذنيها .. هل خانها سمعها .. هل تحرك الجليد أخيرًا؟ لقد هيأت له الظروف مرارًا كى يدعوها إلى سهرة منفردة أو لمشاركته الطعام فى أحد المطاعم ، ولكن دون جدوى . والآن ها هو للمرة الأولى ، يوجه لها مثل هذه الدعوة .. وزاد عجبها حين تذكرت أنها سمعته يكرر أكثر من مرة ، أنه ما خرج قط بصحبة فتاة على انفراد .

ـ لقد ذهب معها من قبل إلى بعض الحفلات والسهرات ، ولكن مع أخيها ، وكانت هى التى تتحايل لكى يذهب معهما .

وعاد (سمير) ليقول :

ـ يمكننا أن نذهب قبل العشاء لمشاهدة أحد المعارض الفنية ، ثم نذهب للأوبرا لو أردت .. ففرقة البالية الروسى ستقدم عروضها على دار الأوبرا المصرية يوم الأربعاء القادم ، ويمكننى أن أحصل على تذكرتين لنا لو وافقتِ .

قالت لنفسها مردّدة :

ـ لو وافقت .. هذه الأمنية التى طالما تمنتها :

والتفتت إليه ، وقد تألقت عيناها بمشاعر البهجة والتعجب .. وهى تقول :

ـ هل تعنى ما تقوله حقًا ؟ أم أن الأمر لا يعدو كونه مجرد مزاح ؟

وللمرة الأولى استطاع أن يواجهها مباشرة بتلك النظرة التى تكشف جليًا عواطفه الدفينة نحوها .. والتى كانت تحيرها وتثير شجونها ، لعجزه عن البوح بها قائلًا :

ـ هذه المرة أنا لا أمزح يا (غادة) .. إن وافقت يمكننا أن نلتقى يوم الأربعاء .

ـ بمفردنا .. وبدون أن يكون معنا (مجدى) .

ـ لو أردت أن يكون معنا (مجدى) يمكننى أن أوجه له الدعوة هو أيضًا .

قالت له سريعًا وبتلقائية :

ـ لا .. لا داعى لذلك .

ثم أحست بتسرعها .. فتضرجت وجنتاها بالاحمرار ، وقد تملكها الحياء . بينما استطرد (سمير) قائلًا ، وقد ابتسم لهذه التلقائية :

ـ إذن نلتقى يوم الأربعاء الساعة السادسة مساءً .

همست شبه حالمة :

ـ كما تشاء .

وفجأة تنبهت إلى أن يوم الأربعاء هذا ، هو ذات اليوم الذى حدده لها (كمال) لكى يلتقى بها ، فانتفضت كما لو كانت قد استيقظت من حلمها بغتة قائلة :

ـ ولكن .. ولكن لقد نسيت أن لدى موعـدًا يوم الأربعاء .

سألها قائلًا :

ـ ألا تستطيعين أن تؤجليه ليوم آخر ؟

ـ مع الأسف إنه موعد هام لا يمكن تأجيله .

أطرق ساكتًا دون أن يعلق بشىء .. فعادت لتقول له :

ـ إننى آسفة جدًا .

ـ وأنا أكثر منك أسفًا .. فهذه هى المرة الأولى التى تجرأت على أن أوجه لك فيها دعوة منفردة .. كما أن مواعيدى أنا الآخر مشغولة طوال بقية أيام الأسبوع .

سألته وهى تحاول أن تطيب خاطره :

ـ وماذا عن الأسبوع القادم ؟

ـ لا بأس بيوم السبت .. فلن يكون لدى عمل هام فى هذا اليوم ... ولكن هذا يعنى أنه سيفوتنا عرض الباليه الروسى .

ـ يمكن تعويضه فى مرة أخرى .. أم أنك تنوى أن تكتفى بدعوة واحدة ؟

واستطردت وهى تعود إلى المزاح :

ـ أعنى .. ربّما تكون بخيلًا ، وترى أن خروجى معك سيكلفك الكثير من المصاريف .

مازحها بدوره قائلًا :

ـ ستكون هذه الدعوة الأولى على سبيل التجربة .. فإن رأيت أنها لم تكلفنى أكثر من ثلاثة جنيهات .. فربّما وجهت دعوة ثانية .

ضحكت قائلة :

ـ يا لك من شخص مبذر .

ضحك بدوره قائلًا :

ـ هيًا .. المرء لن يأخذ من الحياة شيئًا .

حضر (مجدى) على ضحكهما قائلًا :

ـ ما كل هذا الضحك الذى أسمعه ؟ ألا تشركانى معكما ؟

أجابه (سمير) :

ـ سنغيظك ولن نخبرك بشىء .

ـ المهم ألا أكون محور هذا الضحك .

قالت (غادة) :

ـ إننا نضحك على أحد البخلاء .

وتوقفت عن متابعة الضحك ، وقد عاودها التفكير فى ذلك اللقاء الذى سيجمعها مع (كمال) .. والذى أفسد عليها سعادتها بأول موعد لها مع (سمير) بمفردها .

إنها واثقة الآن من مشاعرها .. وأن حبها لـ (سمير) حب حقيقى وعميق وليس مجرد ألفة واعتياد على شخص كان رفيقها هى وأخيها منذ الطفولة . فقد راجعت نفسها أكثر من مرة .. فوجدت أن حبها لـ (سمير) كان كامنًا فى قلبها منذ الصغر .. ثم نما وترعرع كزهرة جميلة .. غير أنها تخشى طيش (كمال) .. فهو لا يحجم عن ارتكاب أى حماقة لو تجاهلت موعده وتجاهلته .

وانتهز (سمير) فرصة انشغال أخيها بالتحدث مع البستانى ، ليقول لها :

ـ هل أستطيع أن أسألك عن هذا الموعد ، الذى لا يمكنك تأجيله يوم الأربعاء ؟ أم أكون بذلك إنسانًا متطفلًا ؟

وفى الحقيقة فإن (غادة) سعدت فى أعماقها بهذا الاهتمام منه .. وقالت لنفسها ربّما كان سؤاله هذا سببه غيرة من أن يكون هناك من يشغل تفكيرها ، ويجد من الأهمية ما يجعلها تؤجل موعده للوفاء بهذا الميعاد . وودت لو أخبرته بالحقيقة .. لكنها لم تكن تستطيع ذلك .. فاضطرت للكذب قائلة :

ـ أنت تعرف أن لنا قريبة وهى السيدة (فايزة ناصر) ، تعيش بمفردها بعد أن اشتد عليها المرض . وهذه السيدة أرملة ، وليس لها أولاد أو أقارب يسألون عنها ويرعونها سواى .

ـ أليست هى تلك السيدة التى ذهبنا لزيارتها فى المستشفى منذ بضعة أشهر ؟

ـ نعم .. إنها هى .. لقد اتصلت بى وطلبت منى أن أزورها يوم الأربعاء ، وأقضى معها بعض الوقت ، وألحت علىّ فى ذلك ، وهى تشكو لى من وحدتها ومن مرضها فوعدتها بالذهاب إليها ، وقضاء بضع ساعات معها يوم الأربعاء .

ـ زيارة المريض واجبة .

وعاد (مجدى) ليقول لهما :
ـ البستانى أهمل الحديقة الخلفية إهمالًا فاحشًا .. تعال يا (سمير) لترى ماذا حدث للأشجار التى تعبنا فى زراعتها الشهر الماضى .
قال ذلك وجذب (سمير) من ذراعه متجهًا به نحو الحديقة الخلفية ، وتركاها وحيدة ..

★ ★ ★

كان (سمير) يقطن فى شقة صغيرة قريبة من المكتب الذى يديره .. وكان قد عاد إليها فى ساعة متأخرة بعد عودته من المزرعة فى صحبة (غادة) وأخيها . وكان قد مر على أبيه قبل سفره ليودعه ، حيث عاتبه الأب قائلًا :
ـ إننى لم أحظ منك خلال هذه الزيارة إلا ببضع ساعات قليلة ، أما باقى الوقت فكان من نصيب صديقك (مجدى) وأخته .. يبدو أن أباك العجوز لم يعد يلقى اهتمامًا كبيرًا منك الآن .
قبَّل (سمير) يده قائلًا وهو يعتذر :
ـ اعذرنى يا أبى .. أنت تعرف جيدًا مقدار مكانتك لدى .. لكننى لم أعد أقوى على قضاء ساعات طويلة فى هذا المنزل ، بعد أن فارقته المرحومة والدتى . إن كل شىء فى هذا المنزل يذكرنى بها ، ويزيد من حنينى إليها وإلى عطفها الذى لم أجد له فى حياتى مثيلًا .

تنهد الأب قائلًا :
ـ رحمها الله .. لقد كان حنانها وعطفها يشمل الجميع .. وعاشت حياتها لا تحمل ضغينة لأحد .. ولا يعرف قلبها سوى الحب .
ثم استطرد قائلًا :
ـ لكن هذا ليس بعذر يجعلك تهرب من المنزل على هذا النحو .. لا أحد يفتقد والدتك بالقدر الذى أفتقدها به .. فقد كانت بالنسبة لى هى كل شىء ، الأخت والزوجة والأم .. وكل شىء فى حياتى ، لكن يا ولدى ، الحياة يجب أن تستمر .. وعلينا أن نتقبل ما يفرضه علينا القدر بنفوس راضية .
ـ اعلم يا أبى .. أننى فقط بحاجة لفترة من الوقت ، لكى أعتاد أن آتى إلى هذا المنزل ، دون أن أجدها تستقبلنى فاتحة ذراعيها ، والبهجة تملأ وجهها .
حاول الأب أن يغيِّر الموضوع ، فقال له مازحًا :
ـ دعك من هذا .. وقل إن ابنة (رفعت ذهنى) هى التى تدفعك إلى قضاء كل هذا الوقت فى المزرعة .. فأنا أعرف أنك متعلق بها منذ الصغر .
تنهد (سمير) قائلًا :
ـ حقًا إننى أقضى معها ساعات طويلة .. ولكن المسافة بينى وبينها ما زالت بعيدة .. بعيدة تمامًا يا أبى .
قال أبوه معترضًا :

- ما هذا القول ؟ لماذا تقلل من شأن نفسك هكذا ؟ أنت الآن ما شاء الله محاسب كبير .. ولديك مكتب فى القاهرة .. وشقة وسيارة ولك دخل جيد .. فما الذى ينقصك بعد هذا ؟!

هيًا .. أعلن عن رغبتك هكذا فى الزواج منها ، وأنا أذهب لأخطبها لك من أخيها .

ابتسم (سمير) فى مرارة قائلًا :

- تخطبها لى .. ابنة (رفعت) ؟!

وقال الأب مندهشًا :

- نعم .. وما المانع ؟

بدا الألم على وجه (سمير) ، وهو يقول :

- يبدو أنك نسيت الكثير يا والدى ... الكثير جدًا .

وارتجف صوته فى تأثر .

* * *



٣ - شجاعة الحب ..

قال (سمير) مستغربًا :

- أبى .. هل نسيت أنها ابنة المليونير (رفعت ذهنى) ؟ أجداده كانوا يملكون ثلاثة أرباع هذه القرية .. (رفعت ذهنى) الذى كنت تعمل أجيرًا لديه .

رد عليه والده وهو يتحاشى نظراته :

- لقد تغير الزمن .

- وما الذى غيره ؟

- لم يعد هناك باشوات ولا بهوات .

- ولكن ما زال هناك أغنياء وفقراء .

- أنت لا تعد من الفقراء .

- الحمد لله .. ربنا ساترها .. أعرف بأننى أحصل الآن على دخل مناسب ، ولكنى مجرد شريك ضمن ثلاثة شركاء فى مكتب المحاسبة الذى تقول إننى أمتلكه .

كما أن لى شقة .. ولكنها شقة صغيرة فى أطراف المدينة . ولى سيارة موديل قديم .. تحتاج منى إلى عمرة كل بضعة أشهر ، لكى لا تحال إلى المعاش .

إننى أعترف بأننى أفضل بكثير من غيرى .. وإمكانياتى هذه تمكننى الآن من الزواج ، ولكن الزواج .. ممن ؟ من فتاة على قدر الحال .. تتناسب إمكانياتها مع إمكانياتى ، وتكون مستعدة لأن تواصل معى رحلة الكفاح .. وليس من ابنة (رفعت ذهنى) التى تعودت أن تعيش فى فيلات تشبه القصور .

تنهد الأب ، وقد وجد أن منطق ابنه مقنعًا ، قائلًا :

ـ ولكنك تحبها .

أطلق (سمير) بدوره زفرة قصيرة تعبر عما يجيش بصدره قائلًا :

ـ نعم يا أبى .. أكذب عليك .. إننى أحبها بكل ذرة فى كيانى .

ـ وماذا ستفعل ؟

ـ لا أدرى .. لقد حاولت مرارًا أن أنتزع هذا الحب من قلبى .. بل كدت أقطع صلتى بأخيها برغم الرابطة القوية التى تربط بيننا ، حتى يكون ذلك سببًا لابتعادى عنها .. ولكننى فشلت . إننى أشعر بالتعاسة لو مر علىَّ أسبوعان كاملان دون أن أراها . ولم أجد فى نفسى القدرة على الابتعاد عنها ، فقلبى يرفض الاستجابة لأى منطق .. وإرادتى فى حبها أضعف من أن تستجيب لصوت العقل .

ـ إننى أشعر بما تعانيه يا بنى ، وأشفق عليك منه .

ـ المشكلة أننى تصرفت اليوم برعونة ، وقد وجدت نفسى مندفعًا وراء عاطفتى ، ومتجاوزًا كل تحفظاتى نحوها .. ودعوتها لكى نخرج سويًا للتنزه معًا وتناول العشاء فى أحد مطاعم القاهرة .

ـ وماذا فى ذلك ؟ أنت تخرج معها دومًا ، وترتادان أماكن عديدة .

ـ نعم .. ولكن فى صحبة أخيها (مجدى) دائمًا .. لم يسبق لى أن خرجت معها بمفردى من قبل .. حتى ونحن صبية صغار .

ـ أتخشاها إلى هذا الحد ؟

ـ أخشى مما يمكن أن يسفر عنه هذا اللقاء .

ـ وما الذى يمكن أن يسفر عنه هذا اللقاء ؟

ـ قد تكون هذه هى البداية لكى يكشف كل منا ما تخفيه نفسه من مشاعر ، إننى أرى فى عينيها ما ينم عن مبادلتها لى عاطفتى .. وهى تنتظر منى فقط أن أقدم على الخطوة الأولى .

ـ لماذا لا تدع الأمور تسير كما يريد لها القدر ؟

- لو كشف كل منا للآخر عن عواطفه ، فسوف يعنى هذا أن نبدأ فى بناء الآمال وتجترفنا الأحلام . وبعد ذلك سيأتى اليوم الذى نتمنى لو لم نندفع وراء عواطفنا على هذا النحو ، عندما تصطدم الأحلام بالواقع ، سنجد أن تلك المسافات البعيدة التى تخطيناها بأحلامنا ، مازالت شاسعة .. وتلك الجدران التى هدمناها بآمالنا مازالت باقية تفصل بيننا .

أحاط الأب كتفى ابنه بساعده ، وهو يقول :

- لن تكون قد خسرت شيئًا على كل حال .

- بل ستكون خسارتى قاسية يا أبى .. فأن تكون بعيدًا عن الأحلام والأمانى ، أفضل بكثير من أن تحلم وتتمنى ، ثم تفقد أحلامك وأمانيك .

- (مجدى) هو أقرب صديق إليك .. أتعتقد أنه سيرفض أن يزوجها لك ؟

- قد يكون (مجدى) صديقًا مقربًا لى كما تقول .. بل إنه يعدنى بمثابة أخ له ، لكن فيما يتعلق بزواج أخته فالأمر يختلف . إن رأيه دائمًا هو أن أخته تستحق أن تتزوج من مليونير .. شخص يناسب مستواه الاجتماعى والمادى ، مستوى أسرتهم . وحتى لو وافق .. هل تعتقد أن فتاة مثل (غادة) تستطيع أن تعيش فى منزل بسيط كمنزلى ، وأن تتأقلم على حياة بسيطة كحياتى ؟ كلَّا يا أبى لن أخدع نفسى .

- إذن يجب أن تحسم الأمر بينك وبين نفسك بصورة نهائية .. وألا تدع هذا اللقاء يشغلك إلى هذا الحد الذى يملؤك بالحيرة والقلق . إنه مجرد لقاء .. فلتعتبره مثل لقاءاتك السابقة بها وهى بصحبة أخيها ، ولا تبالغ فى مخاوفك وفى تصوراتك .. خذها نصيحة منى يا ولدى .. لا تبالغ أبدًا .

★ ★ ★

أحس (سمير) بحنين شديد لرؤية (غادة) .. فلم يستطع أن ينتظر حتى يوم السبت لكى يراها .. وذهب إلى منزلها فى القاهرة ، بحجة لقاء أخيها يوم الخميس ، ولكن لم يكد يبلغ باب المنزل حتى رآها خارجة ، وقد ارتدت ثوبًا رائعًا كشف المزيد من جمالها المشرق . وابتسمت حين رأته قائلة :

- أهلًا (سمير) .. إننى سعيدة لأننى قابلتك قبل مغادرتى للمنزل .

سألها قائلًا :

- هل (مجدى) هنا ؟

- قل إنك قد جئت إذن لمقابلة (مجدى) وليس لرؤيتى .

قال سريعًا :

ـ بل أردت أن أراك ..

وأردف مرتبكًا :

ـ وللتأكد أيضًا مما إذا كان موعدنا كما هو أم تأجل ..

ـ هل لديك مانع فى أن نؤجل موعدنا إلى يوم الثلاثاء بدلًا من يوم السبت ؟

صمت (سمير) وقد بدا عليه الإحساس بخيبة الأمل . فبادرته قائلة :

ـ هل ضايقك ذلك ؟

ـ كلَّا مطلقًا .. كما تشائين .

ـ فى الحقيقة .. هناك أمر سيضطرنى إلى عدم التواجد يوم السبت فى الموعد الذى حددته .

ـ على كل حال .. يوم الثلاثاء يناسبنى .. هذا إذا لم يوجد ما يستدعى التأجيل مرة أخرى .

ابتسمت قائلة ، وهى تمسك ساعده لتصحبه إلى أحد أركان الحديقة المحيطة بالمنزل :

ـ دمك ثقيل .. إذن فأنت غاضب لتأجيل الموعد .

هز رأسه بحركة عصبية قائلًا :

ـ قلت لك إننى لست غاضبًا أو متضايقًا .

تطلعت إلى وجهه قائلة :

ـ إذن فلم هذا التجهم الذى يعتلى وجهك ؟

ـ من قال إننى متجهم ؟

قالت مداعبة :

ـ ولكن .. هل تعرف حتى وأنت متجهم تبدو لا بأس بك ؟

سألها قائلًا :

ـ هل قابلت السيدة (فايزة ناصر) بالأمس ؟

قالت بارتباك :

ـ هه .. آه .. نعم .. لقد عدت من عندها فى العاشرة مساءً ، وأخذت تلح على للبقاء أكثر من ذلك ، ولكنى رفضت .. بعد أن أصبح الوقت متأخرًا .

ـ وكيف حالها ؟

قالت سريعًا :

ـ إنها فى صحة لا بأس بها .

واستطردت وهى تسأله فى محاولة منها لإخفاء ارتباكها :

ـ فأنت ، كيف قضيت هذا اليوم ؟

ـ لقد غادرت المكتب فى السادسة مساءً ولم أجد لدى الرغبة فى العودة إلى المنزل .. فركبت سيارتى وذهبت إلى الكورنيش ، حيث تناولت عشائى فى أحد المطاعم المطلة على النيل .. وبعدها عدت إلى المنزل فى العاشرة مساءً تقريبًا .

قالت بخبث :

- وهل تناولت العشاء بمفردك هذه الليلة ؟

- كنت أود لو تكونى معى .. فهذا اليوم يحمل ذكرى خاصة بالنسبة لى .

- وما هى ؟

- هل نسيت ؟

حاولت (غادة) التذكر .. ثم ما لبثت أن هتفت وهى تستنكر من نفسها قائلة :

- إنه يوم عيد ميلادك .. كيف تسنى لى أن أنسى هذا ؟

- لقد ظننت عندما حددت لك هذا اليوم موعدًا للقائنا ، أنك ستتذكرين .

نظرت إليه بخجل قائلة :

- آسفة جدًا يا (سمير) .. ما كان يتعين علىّ أن أرتكب هذه الغلطة الكبيرة ، وأنسى عيد ميلادك .. ولكنى لم أكن فى حالة طبيعية فى هذا اليوم ، ولعلك لاحظت ذلك .

- نعم .. لقد كنت شاردة بعض الشىء وبدت عليك شىء من الحزن والقلق ، ولم أكن أنا وحدى الذى لاحظت ذلك .. بل لاحظة (مجدى) أيضًا .. ربَما كان هذا بسبب قلقك على السيدة (فايزة) .. على كل حال .. لا عليك .. لقد مر اليوم كأى يوم من الأيام الأخرى .

- ولكن إذا كنت أنا قد نسيت .. فكيف نسى (مجدى) أيضًا ، وهو الذى كان يذكرنا دائمًا بعيد ميلادك ، قبل أن يأتى بأسبوع ؟

- إنها مشاغل العمل .. كان الله فى عون (مجدى) فلديه من المتاعب الكثير فى محيط عمله ، والمنافسة قوية بينه وبين بعض الدخلاء الذين يريدون تقويض عمل شركته .

- على كل حال تأكد أننى لن أغفر لنفسى ولا لـ (مجدى) هذا الخطأ .

ابتسم (سمير) قائلًا وهو يحاول تخفيف الموقف :

- الأمر لا يستحق كل هذا .

عادت لتقول بدلال وخبث :

- ولكن قل لى .. هل احتفلت بعيد ميلادك بمفردك حقًّا ؟

- أولًا .. أنا لم أحتفل به .. كل ما هنالك أننى سمحت لنفسى بأن أتناول العشاء خارج منزلى ، فى مطعم أنيق يطل على النيل . فى هذه الليلة .

- ألم تحاول أن تبحث لنفسك عن بديل ليشاركك العشاء فى هذه الليلة بدلًا منى ؟

قال ، وقد أطلت من عينيه نظرة تعبر عن حبه الشديد نحوها :

- ليس لك بديل فى حياتى يا (غادة) .

وأحس بارتباك شديد لهذه التلقائية التى دفعته ليتفوّه بهذه العبارة ، دون وعى منه ، فى حين أصابت كلماته وترًا حساسًا فى نفسها .. فتطلعت إليه بعينين لا تقلان عنه وجدًا وهيامًا ، وهى تقول بصوت هامس :

- وهذا شعورى يا (سمير) .. أريد أن تتأكد من ذلك .

تلامست أيديهما لاشعوريًا ، وقد بدا كل منهما مقبلًا على الإفصاح عن كل تلك المشاعر الفياضة ، التى حرم من التعبير عنها . ولكنه أبعد يده سريعًا ، وقد أحس باضطراب شديد قائلًا لها :

- (غادة) .. ألم تكونى فى طريقك لمغادرة المنزل ؟ هيًا حتى لا تتأخرى عن موعدك .

- (سمير) .. هل ستبقى هكذا دائمًا ؟ كلما أحسست أنك على وشك الاقتراب منى بمشاعرك .. تسارع بالهرب ، وكأنك تخاف من البوح بما فى أعماقك ؟

- ربما حين نلتقى ، وأجد فى نفسى الشجاعة الكافية .. أستطيع الإفصاح عن هذه المشاعر .

قالت مستنكرة :

- الشجاعة الكافية !! إننا أصدقاء منذ الطفولة .. طالما لهونا معًا وشاغب بعضنا البعض ، ودبرنا المقالب لبعضنا .. ومازلت لا تجد الشجاعة الكافية للتصريح لى بما فى داخلك ؟!

قال (سمير) بجدية :

- هناك فرق بين أن نتعامل معًا كأصدقاء .. ويدبر بعضنا لبعض المقالب وشقاوة الطفولة .. وبين التعبير عن المشاعر الحقيقية التى قد لا يجد المرء فى نفسه القدرة على الإفصاح عنها ، بنفس القدر الذى يداريها به تحت ستار الصداقة واللهو والمرح .

- وهل سيمكنك العثور على هذه الشجاعة حقًا عندما نلتقى ؟

- سأحاول أن أبحث عن الشجاعة مع نفسى أوّلًا ، قبل أن أبحث عنها فى مواجهتك يا (غادة) .. تأكدى أننى سأحاول .

* * *



٤ ـ الكاذبة ..

كان وهو جالس مع (مجدى) يفكر فى صوت الفتاة اللاهث، ونبراتها الحنون وهى تقول له :

ـ هذا نفس شعورى يا (سمير) .. أريد أن تتأكد من ذلك .

ولما غادر المنزل تملكته الحيرة ما بين مشاعره المترددة .. وعواطفه المتأججة، إنها تحبه .. ما فى ذلك من شك .. هل يدوم هذا الحب ؟ هل يصمد للفوارق التى تفصل بينهما ؟

وابتاع صحيفة مسائية لنفسه قبل أن يدخل إلى مكتبه، حيث بادره شريكه قائلًا :

ـ يبدو أننا سنضطر إلى ضغط المصروفات خلال هذا الشهر .. فالعملية التى كنا سنتولاها خلال الشهور القادمة، حولتها الشركة العربية إلى مكتب محاسبة آخر .

ـ لماذا ؟ لقد كان اتفاقنا مع الحاج (متولى) واضحًا وميسرًا للغاية .

أجابه شريكه :

ـ نعم .. ولكن يبدو أن بعض من يعملون مع الحاج (متولى)، على اتصال ببعض المكاتب الأخرى، ويتقاضون منها عمولات لقاء إقناع الحاج (متولى) بنقل حسابات شركته إليهم. لقد أخبرتك من قبل بأنه يتعين علينا أن نجارى الآخرين فيما يعملونه، وعليك أن تتخلى عن هذه المثاليات لكسب المزيد من العملاء .. ولكنك رفضت .

ـ تقصد أن ندفع نحن أيضًا عمولات لبعض موظفى الشركات وأصحاب المصالح التجارية ؟ لا يا سيدى، الله الغنى المغنى .

قال له شريكه بضيق :

ـ لماذا ؟ الكل يفعل ذلك .. وعلينا أن نجارى الآخرين .

قال (سمير) بغضب :

ـ أنا لا أجارى أحدًا .. عملنا هو الذى يأتى لنا بالعملاء .. وأعتقد أن شريكنا الثالث يوافقنى على ذلك .

قال شريكه :

ـ ولكن عملنا يحقق لنا أرباحًا ضئيلة .. فى حين يحقق الآخرون أرباحًا طائلة من وراء استخدام هذا الأسلوب الذى لايعجبك .

ـ بارك الله فيما رزق .

قال شريكه حانقًا :

- ولكن لا تنس أننى شريك لك ولـ (فهمى) فى هذا المكتب، ويجب أن يكون لرأيى اعتبار .

- لقد اتفقنا من قبل على ألا نلجأ إلى الأساليب الملتوية، فى القيام بأعمال المكتب، وهذا شرط واضح . كما اتفقنا أيضًا على أن الرأى يكون للأغلبية فى حالة الاختلاف، وأعتقد أن رأيى ورأى (فهمى) يمثلان الأغلبية فى مثل هذه الحالة . وعلى كل حال .. لقد أردت أن تنسحب من المشاركة، فلك مطلق الحرية فى ذلك .

احتقن وجه الرجل وهو يكظم غيظه .. ثم ما لبث أن قال :

- حسن .. حاول أن تجد وسيلة إذن لتدبير مصروفات المكتب خلال هذا الشهر .

- سأدبر الأمر .. كل ما هنالك أننا سنبذل جهدًا مضاعفًا للانتهاء من بعض العمليات التجارية الصغيرة المؤجلة .

انصرف شريكه بعد أن صفق الباب خلفه تعبيرًا عن غضبه . فى حين واجه (سمير) ذلك بابتسامة ارتسمت على وجهه، وهو يراقب انصرافه .

إنه يعرف (وجدى) جيدًا .. فهو إنسان مادىّ لا يقنع بالقليل، ويتطلع دائمًا إلى تحقيق المكاسب الكبيرة، بغض النظر عن الوسيلة التى يستخدمها فى سبيل تحقيق ذلك .

وقد اعتاد (سمير) على مثل هذه الخلافات معه بسبب طبيعته هذه .. وكثيرًا ما واجه نوبات غضبه وانفعاله بالشدة والحزم، لكى يكبح جماحه . ولولا نقص الإمكانيات واحتياجه لوجود شريك ثالث، لما قبل مشاركته، ولكنه فى النهاية ينجح فى التأثير عليه وإرغامه على مسايرة أسلوبه فى إدارة المكتب :

أما (فهمى) فهو أقرب إلى أسلوبه وطبيعته، ولا يجد خلافًا معه فى الأسلوب الذى يدير به العمل هنا .. لذا فهو أكثر اعتمادًا عليه، خاصة فيما يتعلق بالاتصال مع العملاء .

ومدّ (سمير) ساقيه أمام مكتبه، وهو يطالع الصحيفة مكتفيًا بقراءة عناوين الأخبار . وما إن انتهى من عناوين أخبار السياسة الخارجية والأخبار الرياضية حتى انتقلت عيناه إلى عناوين أخبار الحوادث . وتسمرت عيناه على أحد الأخبار التى تقول : « انتحرت سيدة مسنة بالأمس تدعى (فايزة ناصر) فى منزلها الكائن بمنطقة حدائق القبة، وذلك بتناول جرعة كبيرة من الأقراص المخدرة ..

وكانت هذه السيدة تعيش بمفردها .. وقد سبق أن أصيبت بمرض نفسى تمَّ معالجتها منه .. كما كانت مصابة بعدة أمراض أخرى .. مما استدعى دخولها المستشفى أكثر من مرة .. وهى تمت بصلة قرابة إلى عائلة المليونير (رفعت ذهنى) .. حيث كانوا يتولون الإشراف على علاجها ورعايتها .. وحاولوا إدخالها دارًا للمسنين .. ولكنها رفضت بإصرار .. كما رفضت أن تقيم لديهم .... » .

وقال (سمير) لنفسه :

- لابد أن (غادة) ستحزن كثيرًا من أجلها .. فقد كانت لهذه المرأة مكانة خاصة عندها . وعاد لاستكمال قراءة الخبر ، حيث قرأ : « وذكر الطبيب الذى فحص الجثة ، أن المنتحرة لفظت أنفاسها الأخيرة ، قبل أن يكشف عليها بساعات .. كما قالت الخادمة التى اعتادت أن تمر عليها يوميًا لخدمتها وقضاء حوائجها ، إنها دخلت مخدعها فى السادسة مساءً ، فوجدتها قد فارقت الحياة » .

رفع (سمير) وجهه عن الجريدة قائلًا :

- ماذا .. السادسة مساءً ؟ ولكن (غادة) قالت إنها غادرت منزلها فى العاشرة مساء ، وإنها أخذت تلح عليها لكى تبقى معها وقتًا أطول .

وغادر مكتبه سريعًا وقد بدا شاحب الوجه . ثم استقل سيارته دون أن يحدد لنفسه الوجهة التى يذهب بها إليها ، وهو شارد الذهن . وقد أخذ يستعيد تلك العبارة التى قرأها فى الجريدة : « كما قالت الخادمة التى اعتادت أن تمر عليها يوميًا لخدمتها وقضاء حوائجها ، إنها دخلت مخدعها فى السادسة مساءً فوجدتها قد فارقت الحياة » .

وأخذ يسائل نفسه قائلًا :

- لماذا كذبت (غادة) علىّ ؟ لماذا قالت إنها غادرت منزلها فى العاشرة مساءً وإنها كانت تدعوها بإلحاح للبقاء ؟ هل لـ (غادة) علاقة بانتحار تلك السيدة ؟ .. أم أنها كذبت علىّ لتعتذر عن تلبية دعوتى ، كما اعتذرت اليوم أيضًا عن موعد يوم السبت ، وطلبت تأجيله ليوم آخر ؟ ترى .. هل تتلاعب (غادة) بعواطفى ؟ وهل إحساسى بمشاعرها إحساس وهمى ؟ هل ما تصورته عن أنها تبادلنى عواطفى هو مجرد وهم لعاشق مخدوع ؟ إن (غادة) لم تذهب إلى تلك السيدة فى هذه الليلة .. ومعنى ذلك أنها ذهبت إلى مكان آخر يهمها ألا يعرفه أحد .

لا .. إن (غادة) لا يمكنها أن تكذب عليه .. إنه يعرفها جيدًا ، منذ الطفولة وهى لم تكذب عليه من قبل مطلقًا .

أتكون قد قابلت شخصًا آخر فى تلك الليلة ؟

لا .. لا يمكن أن تحب غيره .. إن عينيها تنطق بحبه .. لا يمكن أن تكون قد خدعت مشاعره إلى هذا الحد ، وبهذه البراعة .

لقد سمع من أبيه ذات يوم، أن الشخص الذى يكذب لا يمكن أن يؤتمن على شىء ، أو يكون موضعًا لثقة .

ووجد نفسه يمر أمام شركة (مجدى) .. فأوقف سيارته ثم غادرها متجهًا إلى مقر الشركة ، وكانت سكرتيرة (مجدى) تعرف (سمير) جيدًا ، وقد اعتادت على حضوره إلى الشركة من آن لآخر . فسألها قائلًا :

- هل (مجدى) بك مشغول ؟

أجابته وهى تنهض سريعًا ، والابتسامة على وجهها :

- كلًا يا (سمير) بك .. إنه بمفرده سأعطى له خبرًا بحضورك .

ودخلت إلى حجرته .. ثم عادت لتدعوه إلى الدخول .. حيث استقبله صديقه بترحاب ، قائلًا :

- أهلًا (سمير) .. إنك لم تحضر إلى الشركة منذ فترة طويلة .. ترى ما الذى دفعك إلى الحضور اليوم .. خاصة أنك كنت معى فى المنزل هذا الصباح ؟

صافحه (سمير) قائلًا بجدية :

- البقاء لله يا (مجدى) .

- عظم الله أجرك .. آه .. جئت من أجل العزاء .

- نعم .. لقد قرأت الخبر اليوم فى الجريدة .

قال (مجدى) وهو يشير له بالجلوس :

- أنا أيضًا قرأته مثلك فى صحيفة اليوم .

- ماذا ؟ ألم يتصل بك أحد بشأن المتوفاة ؟

- لقد كانوا يتصلون بى قبل حضورك .

وصمت برهة قبل أن يقول :

- أنت تعلم أن علاقتى كانت محدودة بهذه السيدة .. كما أنها حتى قبل مرضها ، لم تكن من النوع الاجتماعى .. وكانت الوحيدة التى تودها وتحرص على زيارتها من الأسرة هى أختى (غادة) . لذا تجدنى غير بادى التأثر بسبب هذه الوفاة .. خاصة وأننى أكره فكرة الانتحار ، ولكنى سأقوم بالواجب على كل حال .. ولقد أرسلت من يتولى الإعداد لإجراءات الدفن والأمور التى يتعين القيام بها فى مثل هذه الحالات .. خاصة وأننى لا أعتقد أن لديها أقارب آخرين سوانا .

- لابد أن (غادة) حزينة من أجلها .

- لقد اتصلت بالمنزل منذ لحظات ، وعرفت أنها غادرته .. وكانت فى حالة يرثى لها .. لابد أنها ذهبت إلى هناك .

- إذن من الواجب أن تكون معها الآن .

- سأنتهى من بعض الأمور الهامة فى المكتب ، ثم أذهب إلى منزل المتوفاة لأرى ما يمكن عمله .

ـ إذن يتعين علىّ أن أنصرف حتى لا أعطلك .

ـ ماذا ؟ ألن تأتى معى للاطمئنان على (غادة) على الأقل ؟

ـ كما تريد .

ـ حسن .. أنت لست غريبًا .. انتظر حتى أنتهى من الأوراق التى أمامى ثم ننصرف معًا .

وبينما هو منهمك فى الاطلاع على بعض الأوراق الموضوعة فوق مكتبه ، نظر (مجدى) إلى وجه صديقه فرآه حزينًا شاردًا .. فناداه قائلًا :

ـ (سمير) .. ماذا بك ؟

تنبه (سمير) من شروده قائلًا :

ـ هه .. لا .. لا شىء .

ـ لا يمكن أن تكون حزينًا من أجل هذه السيدة أكثر منا .

وفى تلك اللحظة تعالى رنين التليفون على مكتب (مجدى) ، فتناول سماعة الهاتف ليرد على المتحدث قائلًا :

ـ ماذا ؟ نقلوا الجثة إلى المعمل الجنائى لفحصها ؟ آه .. لقد نسيت . لقد أخطرتنى الشرطة بذلك اليوم .. و (غادة) ألم تجدها فى المنزل ؟

وأصغى (سمير) محاولًا معرفة الجواب فى لهفة .. لهفة حقيقية .

★ ★ ★

٥ ـ أسئلة بلا أجوبة ..

نظر (مجدى) إلى صديقه قائلًا :

ـ إنها لم تذهب إلى هناك .. ويبدو أننا سنحتاج إلى تصريح من النيابة قبل القيام بالدفن .. فهم يتأكدون الآن من سبب الوفاة فى المعمل الجنائى .

تساءل (سمير) قائلًا لنفسه :

ـ ترى .. أين هى الآن ؟ وما السبب الذى يمنعها من الذهاب إلى إنسانة كانت لها هذه المكانة عندها فى ظروف كهذه .. خاصة وأنها قد علمت بوفاتها ؟

وأفاق من تساؤلاته على صوت (مجدى) وهو يسأله :

ـ (سمير) .. أين كنت ليلة أمس ؟

وأحس باضطراب لا يدرى كنهه لهذا السؤال ، فسأله صديقه بدوره :

ـ لماذا تسأل هذا السؤال ؟

قال (مجدى) وهو ينحى الأوراق الموضوعة أمامه جانبًا ، ليشعل لنفسه سيجارة :

ـ أعرف أنه من الفضول أن أسألك هذا السؤال ، إلا أنه ذو أهمية خاصة بالنسبة لى .

ـ وما الذى يهمك من المكان الذى كنت فيه بالأمس ؟
ـ فى الحقيقة لقد كذبت عليك .. فأنا لم أعرف نبأ وفاة تلك السيدة من الجريدة كما ادعيت .. ولكنى عرفته على إثر مغادرتك لمنزلنا بربع ساعة فقط . إذ حضر اثنان من رجال الشرطة وأطلعانى على الخبر ، ثم طلبا منى أن تحضر معهما (غادة) إلى القسم لأخذ أقوالها فى أمر وفاة (فايز ناصر) .

نظر إليه (سمير) بقلق قائلًا :
ـ ولماذا يريدون أخذ أقوالها ؟ وما علاقتها بوفاة تلك السيدة ؟

وقال له (مجدى) دون أن يجيب عن أسئلته :
ـ لقد أخبرتنى (غادة) أمس أنها ذاهبة لزيارة تلك السيدة .. وفى الساعة السادسة تقريبًا ، غادرت المنزل فى طريقها إليها .. وعادت بعد ذلك فى ساعة متأخرة . ولكن عندما أخبرتها بحضور هذين الشرطيين ، وأنها مطلوبة لسماع أقوالها فى قسم الشرطة ، بشأن وفاة هذه السيدة ، بدا عليها الاضطراب والجزع الشديد . وأخذت أحاول أن أهدئ خواطرها ، اعتقادًا منى بأن ما أصابها كان نتيجة لصدمتها فى وفاة (فايزة ناصر) . وأخبرتها بأننى سأصحبها بنفسى إلى قسم الشرطة ، للإدلاء بأقوالها ،

ثم أعيدها إلى المنزل قبل توجهى إلى الشركة .. وأن عليها ألا تقلق فى هذا الشأن لأنه مجرد إجراء روتينى عادى .. ولكنها ظلت على حالتها من الاضطراب والقلق طوال الطريق .. برغم كل محاولاتى لتهدئتها .

ـ ولكن كيف علم رجال الشرطة بأن (غادة) كانت تزور المتوفاة ليلة أمس ؟

ـ لقد أخبرتهم الخادمة بأن (غادة) اتصلت بسيدتها وأخبرتها بأنها ستزورها فى هذه الليلة ، وتقضى معها بعض الوقت .. ولكنها حين توجهت إلى منزل مخدومتها ، لم تلتق بها ، ووجدت سيدتها وقد فاضت روحها . أن ما يهم فى الأمر ، فهو أنه فى أثناء قيادتى للسيارة ، ونحن فى الطريق إلى قسم الشرطة ، قالت لى (غادة) فجأة وبصوت مضطرب :

ـ (مجدى) .. أريد أن أخبرك بشىء .. لقد كذبت عليك .. فأنا لم أزر المرحومة (فايزة) ليلة أمس .

وتطلعت إليها بدهشة قائلًا :
ـ ماذا ؟ إذن أين كنت ؟

فأخبرتنى بأنها كانت معك .. وأنها قضت معك وقتًا فى التنزه على ضفاف النيل ، احتفالًا بعيد ميلادك .

وعندما سألتها لماذا لم تخبرنى بذلك ارتبكت قائلة :

- لست أدرى ؟ إن (سمير) صديقنا منذ الطفولة .. وطالما خرجنا سويًا فى أماكن عديدة نحن الثلاثة ، ولم يكن هناك ما يدعو إلى إخفاء هذا الأمر عنك .. وحقيقة فإننى أعجب لِمَ لم أخبرك بالحقيقة . ربما لأنها هى المرة الأولى التى أخرج فيها معه بمفردنا .. وربما لأننى خشيت إن عرفت أن يغضبك ذلك منى ومنه .. لا أدرى .. ولكن هذه هى الحقيقة .

تنهد (سمير) وهو يستمع إلى ما يقوله صديقه ، الذى أردف قائلًا :

- والآن أخبرنى .. هل كانت (غادة) معك ليلة أمس حقًا ؟

أجابه (سمير) بلهجته الحائرة :

- نعم .. هذه هى الحقيقة .

قال (مجدى) وأمارات الشك تبدو على ملامحه :

- ولِمَ لم تخبرنى بذلك

- أنا آسف ، لأننى لم أخبرك .

- آسف .. هل هذا هو كل ما تستطيع أن تقوله ؟

- وماذا تريد منى أن أقول ؟

- تقول الحقيقة .. إن (غادة) مثل أختك .. ولم يكن هناك ما يدعو إلى كل هذا اللف والدوران للقاء بينكما . لقد كان لها مطلق الحرية فى تصرفاتها ، لأننى أثق بأختى ثقة مطلقة .. ولو أرادت أن تلقاك كما كانت تلقاك فى صحبتى ، لما منعتها من ذلك .. إذن فلماذا هذا الكذب والخداع ؟

تنهد (سمير) مرة أخرى قائلًا لنفسه :

- ما أكثر الأكاذيب هذه الأيام .

- ربما أننا تصرفنا بطريقة ساذجة ، وكأننا طالب وطالبة يسعيان إلى اللقاء خارج الجامعة من وراء ظهر الأخ . أنا أيضًا لا أجد تفسيرًا لذلك .. ولكنى وجدت نفسى أدعو أختك للخروج معى ، احتفالًا بعيد ميلادى ، وقد وافقت على تلبية هذه الدعوة ، حيث التقينا بالأمس . على النحو الذى روته لك .

- ومنذ متى لم تكن تدعونى لمشاركتك عيد ميلادك ؟

- إننى لم أدعك مطلقًا لعيد ميلادى .. لأنك كنت تتذكره من تلقاء نفسك ، بل وتذكرنى به .

- اسمع يا (سمير) .. إننى غير مهتم الآن بمسألة خروجك مع أختى أو عدم خروجك ، فكما قلت لك إننى أثق بك وبها ، وأعلم مدى الصداقة التى تجمعنا جميعًا . إن ما يهمنى حقًا ، هو أن أعرف هل كانت معك فعلًا من السادسة مساءً إلى العاشرة ، أم لا ؟

ـ قلت لك إنها كانت معى .

تنهد (مجدى) قائلًا دون أن يبدو عليه الارتياح الكامل لما قاله صديقه :

ـ وهذا هو ما قالته فى محضر التحقيق اليوم .. ولكن يبدو أنهم غير مقتنعين بذلك .

ـ لماذا ؟ هل يظنون أن لها يدًا فى وفاة تلك السيدة ؟

ـ لا أعتقد أن الأمر قد وصل بهم إلى هذا الحد .. ولكن تحويل جثتها إلى الطبيب الشرعى وإعادة فحص الجثة .. ربّما أدى إلى إثبات أنها لم تنتحر وإنما قتلت .. أو أن أحدًا أرغمها على تناول هذه الحبوب المخدرة .

ـ وماذا يحدث إن ثبت ذلك ؟

ـ لا شىء .. غير أننى لا أريد أن يزج باسم أختى فى هذه الحادثة .

ـ إذا كان سيزج باسمها فى هذه القضية .. فذلك باعتبار أنها كانت تعمل على رعاية هذه السيدة وزيارتها وتولى شئون علاجها ، كما لو كانت ابنتها .. وبما هو معروف عن (غادة) من مشاعر إنسانية ورقيقة .

ـ أتمنى أن يغلق ملف هذه القضية فى أقرب وقت .. لقد ظننت أن رجال الشرطة قد زاروك .. ولهذا جئتنى .

ـ لابد أنهم سيستدعوننى لسؤالى فى الأمر ، ما دامت قد ذكرت أننى كنت معها .

ـ نعم .. فأنت الآن شاهد الإثبات الوحيد .

وصمت برهة قبل أن يقول :

ـ ولكن أين ذهبتما ؟.. أعنى عندما التقيتما ليلة أمس ؟

ـ لا شىء أكثر من أننا تركنا السيارة بجوار كورنيش النيل ، وظللنا نتريض على أقدمنا حتى غلبنا التعب ، فجلسنا قليلًا ، ثم عدنا إلى السيارة مرة أخرى حتى أوصلتها .

وخشى (سمير) أن يقول إنه قد ذهب إلى ذلك المطعم الذى تناول فيه عشاءه حتى لا يؤدى ذلك إلى تعقيد الأمور ، وسؤال صاحب المطعم ، مما قد يورط الفتاة .

وقال له (مجدى) بدهشة :

ـ سرتما على أقدامكما بجوار الكورنيش .. هل هذا هو كل ما فعلتموه احتفالًا بعيد ميلادك ؟ ألم تذهبا إلى مكان ما ؟ أحد الكازينوهات مثلًا ؟

اصطنع (سمير) ابتسامة زائفة قائلًا :

ـ لقد أردنا أن نقلد ما يفعله عامة الشعب .. ألم أقل لك إنا تصرفنا كما لو كنا طلبة فى الجامعة . لقد فعلنا شيئًا آخر ستندهشن له . فقد تعشينا (سميط ودقة) . وحاولت (غادة) أن تبدو أمامى فتاة بسيطة للغاية ومتواضعة .

ـ لا أدرى لماذا أشعر بعدم الاقتناع بذلك !

ـ يبدو أن هذه الحادثة .. بالإضافة إلى عدم إخبارك بخروجى مع (غادة) فى هذه الليلة .. قد جعلك كثير التشكك .. ولكن صدقنى هذا ما حدث .

ـ الحمد لله .. الآن قد اطمأننت .

وغادر مكتبه قائلًا :

ـ الآن سأذهب للنظر فى أمر إجراءات الدفن .. وأرى ما انتهى إليه الطبيب الشرعى بعد فحص الجثة .

ـ و(غادة) .

ـ سأبحث عنها لدى صديقاتها وفى النادى .. لابد أنها ما زالت متأثرة لوفاة تلك السيدة .. ولكنها ستعود إلى المنزل فى النهاية .

ـ سآتى معك للبحث عنها .

ـ كلًّا .. عليك أن تعود إلى منزلك .. فربّما استدعوك للإدلاء بأقوالك ، ويحسن أن تنتهى من إتمام ذلك .. وسوف أتصل بك فى المنزل لأطمئنك .

واصطحبه (مجدى) إلى الخارج حيث استقل سيارته قائلًا وهو يتأهب للتحرك بها :

ـ أرجو ألا تحدث مثل هذه اللقاءات مرة أخرى دون علمى يا (سمير) .. فقد كنت وستظل دائمًا موضع ثقتى ، وبمثابة أخ لى .. ولا أريد لهذه الثقة أن تهتز .. وداعًا .

جمد (سمير) فى مكانه حيث تركه (مجدى) .. وتابع انطلاق سيارته وهو يقول لنفسه :

ـ لم أكن معها يا (مجدى) .. ربّما أكون قد خنت ثقتك ؛ لأننى دعوتها إلى هذا اللقاء دون أن أخبرك ، خشية أن تظن بنا الظنون .. ولكنى لم ألتق بها فى هذا اليوم ، ولا أعلم أين ذهبت ، ولماذا ادعت أننى كنت معها ؟ وأى سر هذا هو الذى تخفيه ؟

وقاد سيارته متجهًا إلى منزله وهو ما يزال يفكر : فى تلك الطفلة والفتاة التى أحبها منذ الصغر .. فى (غادة) التى كذبت عليه وعلى أخيها . قالت له إنها ستزور تلك السيدة المريضة .. ثم قالت إنها زارتها فوجدتها فى صحة لا بأس بها .. ثم أخبرت أخاها بأنها ذهبت لزيارة نفس السيدة .. ثم عادت لتقول له إنها كذبت عليه وإنها كانت معه ، وهكذا كذبة وراء أخرى . وراء أخرى . فلماذا ؟ لماذا ؟ وأين كانت فى تلك الليلة ؟!

وأحس بأن رأسه يكاد أن يحطمها الشك والهواجس . وخشى أن تختل عجلة القيادة فى يديه وهو على هذه الحالة .. وقد ظلت صورتها تتراقص أمام عينيه وأكاذيبها تطارده وتعذبه ..

وبمنتهى القسوة .

★ ★ ★

٦ ـ شبح من الماضى ..

وصل (سمير) إلى مكتبه متأخرًا على غير عادته ، حيث استقبله سكرتيره قائلًا :

ـ لقد تأخرت اليوم فى الحضور يا (سمير) بك .

وجد نفسه يقول بعصبية وبأسلوب لم يعتده !

ـ وماذا فى ذلك ؟ هل ستحاسبنى ؟

أحنى الرجل رأسه وقد فوجئ بهذا الأسلوب الذى لم يعتده من قبل قائلًا :

ـ آسف .

وأحس (سمير) بالخجل من نفسه ، فربت على كتف سكرتيره ليطيب خاطره قائلًا :

ـ آسف يا (أمين) .. أعصابى مضطربة قليلًا .

ـ رد عليه السكرتير قائلًا :

ـ لا عليك يا (سمير) بك .. يبدو أنك بحاجة للذهاب إلى البلدة لكى تهدئ أعصابك ، فأنت تعود دائمًا منتعشًا من هناك .

ـ هل حضر (فهمى) و (وجدى) إلى المكتب ؟

أجابه سكرتيره :

ـ لقد انصرف الأستاذ (وجدى) منذ لحظات ، أما الأستاذ (فهمى) فهو فى مكتبه .. هل أبلغه بوصولك ؟

ـ كلَّا .. أريد أن أختلى بنفسى قليلًا .. ومن فضلك أعدّ لى فنجان قهوة .

ـ حالًا يا (سمير) بك .

وقبل أن يدلف (سمير) إلى حجرة مكتبه استوقفه سكرتيره قائلًا :

ـ آه .. لقد نسيت .. (غادة) هانم اتصلت بك منذ قليل .

اهتز (سمير) لسماعه الاسم قائلًا :

ـ هل كانت تريد شيئًا ؟

ـ نعم .. لقد تركت لك رسالة تخبرك فيها بأنها ترغب فى رؤيتك الليلة فى النادى .

ـ ألم تخبرك بشىء آخر ؟

ـ كلَّا .. ولكنها ألحّت على ضرورة حضورك .

تهالك (سمير) فوق مقعده ، وهو يسأل نفسه :

ـ تريد أن ترانى فى النادى .. هكذا بكل بساطة .. وكأنها لم تفعل شيئًا ، وكأنها لم تكذب عليه وعلى أخيها ، ودفعته إلى أن يشاركها كذبها لكى يتستر عليها .. وكأنها لم تجعله عرضة لأسئلة واستجوابات من رجال الشرطة .

إنها حتى لم تحاول أن تفسر له الأمر ، أو تخبره بنيتها على الكذب وإقحامه فى قصة لقائهما المختلق . كل ما استطاعت أن تفعله ، هو أن تتصل تليفونيًا لتطلب لقاءه فى النادى .

وقال لنفسه :

ـ إننى لن أذهب ، ولا أريد أن أراها .

★ ★ ★

وقفت (غادة) تلاعب صديقتها التنس ، وهى شاردة البال ، وقد عجزت مرات كثيرة عن صد الكرات التى ترسلها لها صديقتها ، التى هتفت بها قائلة :

ـ ماذا بك يا (غادة) ؟ إنك تبدين وكأنك تلعبين التنس لأول مرة فى حياتك .

وتوقفت (غادة) عن اللعب قائلة :

ـ أعتقد أننى أفتقد القدرة على التركيز الكامل اليوم .

وتوجهت إلى حديقة النادى ، وقد اختارت أن تجلس فى مكان منعزل بمفردها ، تراقب حضور (مجدى) . وتساءلت قائلة :

ـ ترى .. هل سيحضر (سمير) أم لا ؟

لابد أنه غاضب بسبب كذبها عليه ، وإقحامها له فى أمر لا يدرى عنه شيئًا ، ولكن لماذا لم يحاول أن يتصل بها ويستفسر ؟.. لماذا لم يعاتبها على الأقل ؟ أنه انقطع عن

زيارتها هى وأخيها منذ يومين .. وحتى الموعد الذى اتفق عليه معها تجاهله برغم أنه كان يلح عليها فى قبوله . إذن لابد أنه غاضب بسبب كذبتها .. بل لا شك أنه اندهش حين سمع ما سمعه من أخيها . وهى مخطئة أيضًا لأنها لم تحاول حتى أن تنبهه إلى كذبتها ، أو تطلب منه على الأقل أن يشاركها فيها . لقد تصرفت وكأنها لم تكذب عليه فقط .. بل وكأنه لا اعتبار لرأيه إذا ما قررت أن تورطه فى ذلك .

ولكن .. ماذا تفعل ؟ لقد كان الأمر برمته مفاجئًا لها . ولم تكن تستطيع أن تبرر عدم ذهابها إلى (فايزة ناصر) فى هذه الليلة ، برغم اتصالها بها ، وتأكيدها على الذهاب إليها .. إن أول شىء خطر على بالها ، هو ذلك الموعد المؤجل بينها وبين (سمير) .. فاضطرت لأن تقول إنها قابلته هذه الليلة ، وما كانت تستطيع أن تقول إنها قد قابلت شخصًا آخر هو (كمال) .

لقد اندفعت فى سلسلة من الأكاذيب المتتالية .. حتى أصبحت تكره نفسها لاضطرارها إلى الكذب على هذا النحو .

وكل هذا بسبب ذلك الإنسان البغيض (كمال) . ليتها ما عرفته .. إنه سبب بلائها .. كم تمقت هذا الشخص . الشخص الذى كان فى يوم من الأيام ، يمثل الكثير بالنسبة لها .. الشخص الذى أحبته بكل جوارحها .. ولكنه كان حبًا واهيًا بنى على الغش والخداع ، وعواطف فتاة مراهقة ، لم تكن تستطيع التمييز بين الحب الحقيقى والحب المصطنع .

ولمحت (مجدى) وهو يأتى إلى الحديقة ، وقد أخذ يتلفت فى أركانها بحثًا عنها ، فلوحت له حيث أقبل عليها مبتسمًا . وسألته قائلة :

ـ لماذا تأخرت ؟

ـ كان لدىَ بعض الأعمال التى يتعين علىَ أن أنجزها فى الشركة .

ثم استطرد قائلًا :

ـ لماذا تجلسين بمفردك هكذا ؟ أين الصديقات والأصدقاء ؟

ـ لقد أردت أن أنفرد بنفسى .

ـ إنك لا تعجبيننى هذه الأيام يا (غادة) .. فقد أصبحت تميلين إلى العزلة، ودائمًا شاردة .. وقلقة .

ثم استطرد قائلًا :

ـ أمازلت متأثرة لوفاة (فايزة ناصر) ؟

أجابته قائلة :

ـ لا تشغل بالك بى .

ـ أشغل بالى بمن إذن ، إذا لم أنشغل بك ؟

ـ (مجدى) .. لِمَ لا تجلس ؟

ـ أجلس .. إننى فى شدة الجوع .. قولى لى هل تغديت؟

ـ وهل كنت سأتغدى من دونك ؟

ـ إذن هيا بنا إلى مطعم النادى .

ـ لا أشعر برغبة فى تناول الطعام .

ـ أما أنا فجوعان .. ولن يحلو لى طعام بدونك .. هيا بنا وكفاك تدللًا .

قالت ، وهى جالسة أمامه تتناول الطعام :

ـ لقد دعوت (سمير) لكى يقابلنا الليلة فى النادى .

ـ حسن .. أنك فعلت ذلك ، فأنا لم أره منذ يومين .. كما أننى أريد منه أن يقوم ببعض الأعمال المتعلقة بأمور ضريبية خاصة بالشركة .

وصمت برهة قبل أن يقول :

ـ ولكنى مرتبط بموعد هام .. ولا أعتقد أننى سأستطيع أن أبقى فى النادى حتى الليل .

ـ ألا تستطيع أن تبقى قليلًا ؟.. لا أعتقد أن (سمير) سيتأخر فى الحضور .

ـ حسن .. ولكن إذا تجاوز الثامنة فلن أستطيع انتظاره أكثر من ذلك .

وعادت لتتساءل عما إذا كان سيأتى أم لا . وتمنت من صميم قلبها أن تراه . وحاولت أن تعرف عنه شيئًا من أخيها فسألته قائلة :

ـ ألا تعرف شيئًا عن أخباره خلال اليومين الماضيين ؟

ـ لقد اتصل بى تليفونيًا بالأمس .

اتصل به .. اتصل به دون أن يحاول الاتصال بها ؟

لقد حاولت أن تتصل به خلال اليومين الماضيين دون جدوى .. ففى المكتب هو غير موجود دائمًا .. وفى المنزل لا يرد أحد .. لماذا لم يحاول أن يطلبها ويحادثها كما اعتاد أن يفعل دائمًا ؟ هل هو غاضب منها إلى هذا الحد ؟

وسألته قائلة :

ـ ألم يقل لك شيئًا ؟

ـ نعم .. لقد أخطروه للذهاب إلى القسم .. وذهب وأدلى بأقواله فى محضر الشرطة .

ارتعدت الفتاة قائلة :

ـ وماذا قال فى أقواله ؟

نظر إليها أخوها بدهشة قائلًا :

ـ وماذا تتوقعين منه أن يقول ؟ قال الحقيقة بالطبع .. أخبرهم بأنه كان معك فى هذه الليلة ، وأنكما تنزهتما معًا .

إذن فهو لم يحاول أن يكذبها .. وتستر على ادعائها .. دون أن يحاول حتى معرفة الحقيقة منها . لابد أنه فكر طويلًا ، فى كيف وأين قضت هذه الساعات ، من السادسة مساءً حتى العاشرة . وهى لا تستطيع أن تطلعه على الحقيقة .. ولو أطلعته فلن يستطيع أن يفهمها .. لن يستطيع بمبادئه ومثالياته أن يفهم ، أنها كانت فيما مضى هى و (كمال) ....

وتوقفت عن التفكير .. وقد رأت بعض أصدقائها مقبلين عليهما .. وقد أخذوا يحاصرونهما بضحكاتهم وقفشاتهم ، وهم يقولون :

ـ ألم تملى من مصاحبة هذا الرجل ؟ ألا يكفى وجوده معك فى المنزل ، فيأتى ليستأثر بك هنا أيضًا ؟

وضحك (مجدى) قائلًا :

ـ على كل حال ، ها هى أمامكم ، إننى مستعد أن أتركها معكم الوقت الذى تريدونه .

ولم يبد على (غادة) أنها مستعدة لمبادلتهم هذا المرح .. كما لم يبد عليها أنها مستعدة لمصاحبة أحد فى هذه اللحظة .. ولاحظ أخوها عليها ذلك .. فتحول إلى أصدقائها قائلًا :

ـ يبدو أن (غادة) ليست على مايرام الآن .. وأنها بحاجة للتحدث معى بعض الوقت .

وما إن انصرفوا حتى تحول إليها قائلًا :

ـ ماذا بك يا (غادة) ؟.. إنك فى حالة غير طبيعية تمامًا .

ـ قلت لك لا شىء .. لقد مللت هؤلاء الأصدقاء .. والنادى .. وكل الجو المحيط بى .

ـ إذا كنت سئمت بقاءك هنا .. فلنغادر النادى .

ـ ولكن علينا أن ننتظر (سمير) .

ـ يمكن أن نترك له رسالة نعتذر له فيها .. أو ندعوه للحاق بنا فى أى مكان آخر .

ـ كلا .. إننى أفضل أن نجول فى النادى قليلًا سيرًا على الأقدام ، فربما أراح هذا أعصابى .

ـ لا بأس .. هيا لنتجول معًا .. على الأقل تكون هذه فرصة لهضم الطعام الذى تناولناه ، ولو أنك لم تأكلى شيئًا .

وسارت (غادة) مع أخيها وقد عادت الأفكار لتتنازعها مرة أخرى . ونظرت من طرف عينيها إلى أخيها فى قلق ، فلو أنها أطلعته من قبل على الحقيقة ، لما وجدت نفسها الآن فى هذا المأزق ، ولكنها كانت فتاة حمقاء وجبانة أيضًا .. كان عليها أن تعرف أن الأخطاء لا تعالج بالكذب .. بل بمواجهتها بصراحة وشجاعة . إن (مجدى) لا يخشى شخصًا مثل (كمال) أو غيره .. فلماذا أخفت عنه الحقيقة ؟

إنه لا يخشى سوى شيء واحد ، هو أن يراها تعيسة أو بائسة ، وها هى قد عرفت الحزن والشقاء دون أن يدرى .. وها هى ما زالت عاجزة عن أن تروى له حقيقة ما حدث .. تمامًا كعجزها عن أن ترويه للشخص الوحيد الذى أحبها حبًا حقيقيًا ، وساندها فى أحرج لحظات حياتها .

وشعرت الفتاة بحنين إلى المزرعة .. حيث السكينة والأمان والصفاء ، التى هى أحوج ما تكون إليها الآن .

وتبدلت ملامحها فجأة ، وقد تجمدت مكانها ، حين رأت أحد الأشخاص مقبلًا عليها ، وقد ارتسمت الابتسامة على وجهه . وتقدم نحوها قائلًا :

ـ فرصة سعيدة أن ألتقى بك هنا .

تماسكت (غادة) ، وقدمت ذلك الشخص إلى أخيها قائلة :

ـ أقدم لك الأستاذ (كمال) .. صديق قديم .

ثم قدمت إليه أخاها قائلة :

ـ وهذا أخى (مجدى) .

صافحه (كمال) بحرارة كما لو كان يعرفه من قبل قائلًا :

ـ فرصة سعيدة يا (مجدى) بك .. إننى سعيد للغاية بلقائك .

صافحه (مجدى) بتثاقل ، وهو يقول :

ـ أعتقد أننى لم أرك من قبل فى النادى يا أستاذ (كمال) .

أجابه (كمال) :

ـ نعم .. فى الحقيقة لقد جئت هنا لمقابلة صديق لى .. ومن حسن الحظ أن أتاحت لى الظروف فرصة لقاء الآنسة (غادة) وحضرتك .

واقترب من (غادة) وهو يحدجها بنظرة فاحصة قائلًا :

ـ على كل حال ، لقد أعجبنى النادى كثيرًا .. ويبدو أننى سأصبح عضوًا فيه قريبًا .. على الأقل حتى يتاح لى فرصة الالتقاء بكما من آن لآخر .

تراجعت (غادة) خطوة إلى الوراء ، وهى تنظر إليه نظرة تنم عن كراهيتها وبغضها لهذا الرجل. ولاحظ (مجدى) ذلك التوتر الذى بدا على وجهها ، والذى أحدثه لقاؤها بهذا الرجل. فأمسك بساعدها وهو ينتحى بها جانبًا .. ربما ليؤكد لها أنه لا يوجد ما تخشاه طالما كانت معه وقال لـ (كمال) :

ـ فرصة سعيدة يا أستاذ (كمال) .. معذرة فإن لدينا ارتباطًا هامًا .

لم يبد على الرجل أنه قد تأثر كثيرًا ، لهذا الأسلوب الجاف الذى حادثه به (مجدى) ، فانتحى بدوره جانبًا ، وهو يقول :

ـ طبعًا .. طبعًا .. لا أريد أن أعطلكما .. ولكن سيسعدنى كثيرًا أن تتاح لنا فرصة اللقاء مرة أخرى .

وانصرف (مجدى) بصحبة أخته ، وهو يواصل السير معها حيث سألها بصوت بدت فيه بعض الخشونة قائلًا :

ـ من هذا الشاب ؟ وما معنى كونه صديقًا قديمًا ؟

وقبل أن تجيب أردف قائلًا :

ـ وأين تعرفته ؟

أجابته قائلة :

ـ اسمه (كمال عبد الرءوف) ، ولا أذكر أين تقابلنا .. ربما فى إحدى الحفلات أو الرحلات .

وارتعدت للكذبة الجديدة ، التى قالتها لرجل يثق بها ، ويؤمن بكل ما تقول .

إنها تذكر جيدًا اليوم الذى تعرفت فيه (كمال) ... كان ذلك منذ عامين تقريبًا ، كما تتذكر كل دقيقة من ساعات لقائهما الأخير .

وعبس (مجدى) قائلًا :

ـ إننى لم أرتح له ، ولم تعجبنى طريقته فى النظر إليك .

سألته وهى تحاول أن تتظاهر باللامبالاة ، دون أن تفلح فى ذلك :

ـ وكيف كان ينظر إلىّ ؟

ـ كان ينظر إليك وكأنك شىء يخصه ، أو كأن له بك معرفة وطيدة .

ـ إنك تبالغ فى تصورك هذا .. لا تشغل نفسك به ، ولا أعتقد أننا سنلتقى به مرة أخرى .

ـ أتمنى ذلك .. لأننى غير مستعد لمزيد من التعارف معه .

ازداد قلق (غادة) .. وهى تقول لنفسها :

ـ ما الذى أتى به إلى هنا ؟ ألم يكفه ما حدث ؟ هل وصلت به الجرأة ليطاردنى حتى هنا فى النادى ؟ وقالت لنفسها بيأس :

ـ إننى أعرف أنه لن يتركنى لحالى ، وسيظلُّ يطاردنى أينما ذهبت .

ونما داخلها شعور عجيب بالمرارة .. وباليأس .

★ ★ ★



٧ ـ اغفـر لى ..

أحست (غادة) بالقلق لتأخر (سمير) ، ويبدو أن أخاها قد لاحظ ذلك أيضًا .. إذ نظر إليها قائلًا :

ـ لا تقلقى ، سيأتى .

ـ من ؟

ـ ذلك الذى تنظرين فى الساعة من آن لآخر ترقبًا لحضوره .. أما أنا فلا أستطيع أن أنتظر أكثر من ذلك .. إن لدىَّ موعدًا لا يحتمل التأخير .

وفجأة أبصره قادمًا ، فابتسم قائلًا :

ـ ليتنا تذكرنا مليون جنيه .. ها هو ذا ، ذلك الشخص الذى تنتظرينه .

أحست (غادة) بخوف وارتياح فى آن واحد ، لدى رؤيتها له . أما هو فقد أقبل عليهما ، وتعمد ألا ينظر إليها .. وقال (مجدى) وهو يصافحه :

ـ كانت (غادة) تعتقد أنك لن تأتى .

وسألته (غادة) :

ـ هل أخبروك بأننى اتصلت بك هذا الصباح ؟

قال (سمير) ، وهو يصافحها ببرود :
ـ نعم .. وإلا لما كنت هنا .
قالت (غادة) :
ـ ولكنى اتصلت بك أكثر من مرة من قبل .. فى المنزل لم تكن ترد ، وفى المكتب كانوا يخبروننى بأنك غير موجود .
قال (سمير) :
ـ كنت مشغولًا .
قال له (مجدى) ضاحكًا :
ـ ومن هذا الذى يشغلك عنا ؟
أجابه (مجدى) بطريقة جادة :
ـ بعض الأعمال المتعلقة بالمكتب .
دعاه إلى الجلوس معهما فى أحد أركان الحديقة ، قائلًا :
ـ وهل يسمح لنا مكتبك ببعض الوقت ، لتولى بعض الأمور الحسابية الخاصة بالشركة ؟
أجاب (سمير) :
ـ أنت تعلم أننى ومكتبى تحت أمرك دائمًا يا (مجدى) .
قالت (غادة) :
ـ لقد علمت أنهم أخذوا أقوالك فى قسم الشرطة ، بشأن تلك الليلة التى كنا فيها معًا .. أعنى الليلة التى توفيت فيها المرحومة (فايزة) .

أجابها (سمير) باقتضاب :
ـ نعم .
قالت (غادة) :
ـ آسفة يا (سمير) إذا كنت قد تعرضت للمتاعب بسببى .
قال لها (مجدى) سريعًا ، وقد ارتسمت على وجهه ملامح الضيق :
ـ دعونا من هذا الحديث .. أريد أن أنسى الموضوع برمته .
قال (سمير) :
ـ ولكن الموضوع ما زالت له بقية .. فسوف يعرض الأمر على النيابة ، ولابد أنها ستستدعينا لإعادة سماع أقوالنا .
وقال (مجدى) وقد ازدادت ملامح الضيق على وجهه :
ـ النيابة ؟! لماذا ؟ الأمر لا يستحق كل هذا .. إنسانة انتحرت فى لحظة فقدت فيها الرغبة فى الحياة .. ولم يثبت وجود أية شبهة جنائية .. ما شأننا نحن بالأمر ، وبتحقيقات الشرطة والنيابة ؟

قال (سمير) :

- إنها إجراءات لابد أن تتبع قبل أن تحفظ النيابة الموضوع .

قال (مجدى) :

- على كل حال أنا لا أرغب فى الخوض فى هذا الحديث الآن .. كما أننى مضطر إلى الاستئذان منكما ، لأننى كما أخبرت (غادة) مرتبط بموعد هام .

ونظر إلى (سمير) مستطردًا :

- ولا تنس أن توصل (غادة) إلى المنزل .

بدا الارتباك على وجه (سمير) ، وهو يقول :

- ولكن ...

قاطعه (مجدى) ، وهو يتأهب لمغادرة المكان ، قائلًا :

- وبخصوص العمل الذى سأوكله إليك فإننى سوف أمر عليك فى مكتبك غدًا أو بعد الغد للتحدث فى التفاصيل .

وبدون أن يمنحه فرصة للكلام ، انصرف سريعًا ، وهو يلوح لهما .

وجلس (سمير) صامتًا وهو يتطلع إلى إحدى أشجار الحديقة ، وقد بدا شارد الذهن ، فسألته (غادة) ،قائلة :

- هل ستبقى صامتًا هكذا ؟

نظر إليها وفى عينيه نظرة اتهام ، قائلًا :

- وماذا تريدين منى أن أقول ؟

أجابت (غادة) :

- قل أى شىء .. ولكن لا تبق صامتًا هكذا .

قال (سمير) :

- فى بعض الأحيان يكون الصمت أفضل من أى كلام يقال .

- هل أنت غاضب ، لأننى ادعيت أنك كنت معى فى هذه الليلة ؟

- كان يتعين عليك أن تخبرينى ، بأنك ستجعليننى طرفًا فى هذه الكذبة على الأقل .

- لا أدرى .. ما الذى دفعنى إلى أن أدعى بأننى كنت معك . ولكن عندما فعلت ، شعرت باضطراب شديد ، وبأن جميع أفكارى مشوشة .. تولانى إحساس بالخوف ، دون أن يكون هناك سبب محدد لذلك ، غير أن يربط البعض بين زيارتى للمرحومة ، وبين موضع انتحارها .

- ولكنك لم تزوريها .. لقد كذبت علىّ أيضا فى هذا الشأن ، برغم أنه لم يكن هناك ما يدعوك إلى الكذب .. كان يمكنك أن تقولى ببساطة إنك لا تريدين الخروج معى ، بدلًا من أن تعتذرى بذهابك إلى هذه السيدة .

- تأكد أننى كنت أترقب دعوتك هذه منذ أمد بعيد .

- إذن لماذا كذبت علىّ ؟
- من الصعب أن أوضح الأمر .
- وأنا لا أريد منك إيضاحًا .. مادمت لا تريدين أن تتكلمى .
ومرت بينهما برهة من الصمت، بدت ثقيلة على كليهما .. ثم ما لبثت أن قطعتها (غادة)، قائلة :
- لم أذهب إلى مسكن (فايزة ناصر) فى هذه الليلة .
- ولكن الخادمة ذكرت بأنك اتصلت بها تليفونيًا، وأخبرتها بأنك ستذهبين إليها فى السادسة .. أليس كذلك ؟
- نعم .. ولكنى لم أذهب .
- وأنا أصدقك فى ذلك .
واكتفى بما قاله، وعاد إلى صمته .
ولكنها قطعت هذا الصمت مرة أخرى، قائلة :
- ألا تسألنى أين ذهبت ؟
- ليس من حقى أن أسألك هذا السؤال .. فلو أردت أن تعرفينى لما انتظرت منى أن أسألك .
ثم عاد ليقول :
- ومع ذلك فإذا سألتك ...
قاطعته قائلة :
- قد لا أستطيع إجابتك .

- إذن فلا داعى للأسئلة .
أطلقت زفرة حارة، وهى تتطلع إليه قائلة :
- كل ما أريده هو ألا تكون قاسيًا علىّ فى تفكيرك يا (سمير) .
وغمغم (سمير) قائلًا لنفسه :
- ليتنى تعلمت قليلًا من القسوة لأجابه بها مشاعرى .
عادت لتسأله :
- (سمير) لمَ لا تحادثنى .
التفت إليها قائلًا :
- أما وقد كذبنا، فلابد أن تكون أقوالنا واحدة، وأن نتفق على ما يجب أن يقال .
وأردف قائلًا :
- لقد خرجنا سويًا فى هذه الليلة بسيارتى، ثم توقفنا بالقرب من كورنيش النيل، وقررنا أن نقضى معًا وقتًا بسيطًا ورومانسيًا، متمشينا بالقرب من الكورنيش لساعات طويلة على أقدامنا، وتعشينا (سميط ودقة)، وتحدثنا معًا فى مواضيع شتى .. ثم عدنا مرة أخرى إلى السيارة، حيث أوصلتك إلى منزلك، وتركتك عائدًا إلى المنزل .

أعتقد أنك لن تحتاجى إلى جهد كبير فى سرد هذه القصة .

تنهدت (غادة) قائلة :

- كنت أتمنى أن تكون حقيقية .

- كان بيدك أن تجعليها كذلك .. ولكن يبدو أنك فضلت عليها موعدًا آخر .

همت بأن تقول له شيئًا .. ولكنها أحجمت ، وقالت بدلًا من ذلك :

- ولكن كان هناك موعد آخر بيننا لم تلتزم به .

نظر إليها وعلى وجهه ابتسامة قاسية ، قائلًا فى سخرية :

- يا لك من فتاة .

- ماذا تقصد ؟

- كيف كنت تنتظرين منى أن ألقاك ، وقد تبين لى أنك قد كذبت علىّ ، وأشركتنى فى أمر لا أدرى عنه شيئًا ، ولم تحاولى حتى أن تفصحى عن سبب إقحامك لى فى هذا الأمر ؟.. ثم تلك السيدة المنتحرة .. وما يحيط بأمر انتحارها من غموض ، كيف كنت تريدين منى أن ألتقى بك فى هذه الأجواء ؟

- كان يمكنك على الأقل أن تعتذر .. أو حتى تحاول الاستفسار عن السبب الذى جعلنى أدعى بأنك كنت معى فى هذه الليلة .

ضحك ضحكة قصيرة ، قائلًا :

- حقًا .. وهل قدمت لى الآن تفسيرًا وافيًا لهذا الادعاء ؟ كل ما قلته هو أنك لم تذهبى إلى منزل هذه السيدة . إذن أين كنت ؟.. لا أستطيع إجابتك عن هذا السؤال .. يا له من تفسير مقنع وواف .

- ربّما جاء الوقت الذى تعرف فيه كل شىء .

قال بغضب :

- وحتى يجىء ذلك الوقت ، علىّ أن أكتفى بهذا القدر من المعلومات ، وأن ألتزم الصمت .. طارحًا كل ليلة عددًا من الأسئلة التى لا أجد لها أجوبة ، عن الغموض الذى يحيط بموقفك هذا .

- كنت أظن أنك تستطيع أن تتحملنى أكثر من ذلك .

صاح قائلًا :

- أكثر من ذلك !! وما الذى كنت تريدين منى أكثر من ذلك ؟.. لقد كذبت علىّ ولم أحاول أن أناقشك فى الأمر .. جعلتينى شريكًا لك فى لقاء مزعوم ، وأيدت ما قلته دون أن أناقشك أيضًا فى الأمر ، ما الذى كنت تريدين منى أكثر من ذلك ؟

أحست (غادة) بالعجز .. فقالت له :
- هل ننصرف ؟
- كما تريدين .
ركبت بجواره السيارة، وقد أخذت تنظر إليه، وقد شعرت بما يشعر به، لم يحاول أن ينظر إليها طوال الطريق .. بل ظل يحدق فى الطريق أمامه، وقد اكتسى وجهه بالعبوس . وقالت له وهى تبذل جهدًا فى الحديث :
- ستتألم كثيرًا يا (سمير) لو شرحت لك الأمر .
التفت إليها للمرة الأولى طوال الطريق .. وثورة من الشك تنطلق من عينيه، قائلًا :
- وسأتألم أكثر إذا لم تشرحى لى يا (غادة) .
سألته قائلة :
- أراك لا تثق بى .. أليس كذلك ؟
- لا تطلبى منى ما هو فوق طاقة البشر يا (غادة) .. إن ما حدث لا يدعو إلى الثقة، والثقة ليست مجرد كلمة تقال .. ولكنها تبنى على أفعال وتصرفات .. كما أنها تهتز أيضًا بناءً على أفعال وتصرفات غير مبرَّرة .
أغمضت عينيها، وقد آلمها أن تهتز ثقته بها على هذا النحو .. ولكنه كان محقًّا فيما قاله .. وهى نفسها لا تدرى كيف كان يمكنها أن تحتفظ بثقتها به لو كانت فى نفس

موقفه، وسألت نفسها عما قد يصنع إذا استجابت لنداء قلبها، وألقت برأسها على صدره فى هذه اللحظة .. وشرحت له الأسباب التى دعتها إلى الكذب . ولكن السيارة كانت قد توقفت أمام باب المنزل .. فمدّ (سمير) يده ليفتح الباب . وشدت على يده قائلة بتوسل :
- إنك لن تنقطع عنا .. أليس كذلك ؟
ولم يجبها عن سؤالها، فنظرت إليه نظرة طويلة، ثم تنهّدت وغادرت السيارة .. حيث توقفت قليلًا فى انتظار أن يقول شيئًا . ولكنه لم يحاول النظر إليها .. بل أدار محرك السيارة، وواصل طريقه ..
ودون كلمة واحدة .

* * *



٨ ـ الرسالة الغامضة ..

تأمل الأب ابنه قائلًا :

ـ مالى أراك واجمًا هكذا ؟

قال له (سمير) :

ـ لا شئ .. يبدو أننى متعب من أعمال المكتب قليلًا .

قال الأب بحنو :

ـ لِمَ لا تأخذ إجازة طويلة ، وتبقى معنا هنا ؟

أجابه (سمير) :

ـ لا أستطيع يا والدى .. فقد بدأت الأعمال ترد إلى المكتب بوفرة هذه الأيام .

قال الأب :

ـ العمل ليس كل شئ .. صحتك لا تعجبنى .

أجاب (سمير) :

ـ لقد جئت لأننى كنت بحاجة لأن أراك .

قال له الأب ، وهو ينظر إليه بقلق :

ـ هل هناك ما يتعبك غير أمور العمل ؟

ـ لا .. لا شئ يا أبى .

ابتسم الأب محاولًا التخفيف عن ابنه ، وهو يقول :

ـ لقد جئت هذه المرة إلى البلدة دون صديقك (مجدى) وأخته .. ولم تكن هذه عادتك طوال الأشهر الأخيرة .. وإنما كنت تأتى دائمًا بصحبتهما ، وتوزع وقتك بين منزلك هنا ومزرعة (رفعت ذهنى) .

قال (سمير) بضيق :

ـ لست بحاجة إلى مرافقتهما كلما أردت أن أراك .. لقد أحسست بأننى أفتقدك ، لذا جئت لكى أقضى يومًا أو اثنين معك .. ولا أعتقد أن هذا يحتاج إلى مرافقة أحد .

قال الأب ، وقد استغرب من هذا الانفعال الفجائى قائلًا :

ـ حسن .. حسن .. ليس هناك ما يستدعى ضيقك على هذا النحو .. على كل حال ، لقد اتصلت بى (غادة) منذ ساعتين ، وسألت عنك ، وعندما عرفت أنك هنا أخبرتنى بأنها ستأتى فى مصاحبة أخيها إلى المزرعة .. وأنها تود أن تمر عليهما غدًا لقضاء بعض الوقت معهما .

ازداد انفعال (سمير) وهو يقول :

ـ ما كان يتعين عليك أن تخبرها بوجودى هنا يا أبى .

قال الأب بدهشة :

ـ ولكنها علمت من المكتب الذى تعمل به أنك سافرت إلى المزرعة .. ولم أكن لأستطيع أن أنكر وجودك .

ثم أردف قائلًا :

ـ ماذا حدث يا بنى ؟ أهناك خلاف بينك وبين (غادة) ؟

ـ لا ليس هناك خلاف .. ولكننى أشعر بأننى بحاجة إلى قضاء بعض الوقت بمفردى .. ولا يوجد ما يدعو لأن يكون حضورى إلى هنا ، مرتبطًا كل مرة بوجودى مع هذين الشخصين فى تلك المزرعة .

ازداد الأب اندهاشًا ، وهو يردد قائلًا :

ـ هذين الشخصين ؟! هذه أول مرة أراك تتحدث عنهما هكذا . أنت تعلم كم يحبانك .. (مجدى) وأخته .. ويعدّاك بمثابة أخ لهما .. على الأقل بالنسبة لـ(مجدى) .. أما مشاعر (غادة) نحوك ، فإننى أعرف أنها تحمل لك ما هو أكثر من ذلك .

ابتسم (سمير) بحرارة قائلًا :

ـ يحباننى .. إننى بالنسبة لهما ، لست سوى وسيلة للتسلية والتسرية عن النفس ، كلما حضرا لقضاء بعض الوقت فى هذه القرية .. شىء لا يستطيعان الاستغناء عنه ، هكذا مثل الكلب اللولو الذى تحرص (غادة) على اصطحابه معها أنما ذهبت .

قال الأب بتأثر :

ـ إننى لن أسألك عما حدث بينكما طالما لا تريد التحدث عن ذلك .. ولكن عندما تهدأ قليلًا من هذا الانفعال الذى

يسيطر عليك .. ستعرف أن حكمك هذا ظالم .. وأنه ناتج عن انفعال وقتى .. فـ (مجدى) وأخته يحبانك ويقدرانك بالفعل .

ـ فليكن .. ولكننى لا أريد أن ألتقى بهما فى هذه الآونة .

ـ حسن .. اعتذر عن الذهاب إليهما .. ما دمت لا تريد ذلك .

ـ لا .. من الأفضل أن أغادر البلدة اليوم .

تطلع الأب إليه قائلًا :

ـ إلى هذه الدرجة ؟!

ـ كل ما هنالك .. أننى أحس بحاجتى إلى قضاء بعض الوقت بمفردى .. إنه أمر لا علاقة له بك .. أو بهم .. وإنما أنت تعرف أنه تأتى أوقات على المرء يشعر خلالها بحاجة إلى العزلة والانفراد بنفسه .. وأنا أشعر بحاجتى إلى ذلك هذه الأيام .

حاصر الأب ابنه بنظراته الفاحصة ، قائلًا :

ـ أظننت أنك تستطيع أن تخدع أباك العجوز ؟ أنت تسعى إلى الهروب من شىء ما .. وعلى الأخص من (غادة) .

ـ أبى .. لقد قلت إنك لن تحاول أن تتدخل فى شىء .

- وأنا عند وعدى .. ولكن على الأقل، إذا كنت مصممًا على أن تحرمنى منك بهذه السرعة .. فإنك لن تحرمنى من البقاء معى حتى صباح الغد، لنتناول فطورنا معًا .

- حسن .. سأبقى هذه الليلة .. وسأتناول فطورى معك .

- بارك الله فيك يا بنى .

وفى تلك اللحظة تعالى رنين التليفون، معلنًا عن مكالمة خارجية .. فتناول الأب سماعة الهاتف . وأشار له (سمير) سريعًا، لكى لا يخبر أحدًا بوجوده لكن الأب لم يستجب لإشارة ابنه، قائلًا وهو يقدم له سماعة الهاتف .

- إنه (مجدى) .. ويقول إنه يريدك لأمر هام للغاية .

تناول (سمير) سماعة الهاتف، قائلًا :

- أهلًا يا (مجدى) .

- قال له (مجدى) :

- عفوًا يا (سمير) هل أزعجتك ؟

- كلًا .. مطلقًا .

- لقد أخبرتنى (غادة) بأنك موجود فى البلدة لدى والدك .

- نعم .. إننى سأقضى معه هذه الليلة .

- ليتك تحضر الآن .

- لماذا ؟ هل حدث شىء ؟

- هل نسيت ؟ إن النيابة استدعتنا لسماع أقوالنا اليوم .

- آه .. كدت أنسى .

- وكذلك (غادة) .. برغم أن الأمر يعنيها أكثر من أى شخص آخر .. لقد أخبرنى أحد أصدقائى من رجال الشرطة بأنه قد جدت وقائع جديدة .. إذ وجد رجال المباحث فى منزل المنتحرة رسالة بقلم (غادة) تطلب فيها منها أن تقرضها عشرين ألف جنيه، فى أسرع وقت ممكن .. وأنها ستأتى إليها فى اليوم التالى لأخذ المبلغ، وسوف تقوم برده فى أقرب وقت. وفى نهاية الرسالة تقول « سألتك بالله ألا تردى طلبى، وإلا حدثت كارثة » . والجملة الأخيرة هى التى أثارت اهتمام رجال الشرطة والنيابة .. وأخشى أن يؤدى ذلك إلى أن تحوم الشبهات حول (غادة) مرة أخرى . تصور يا (سمير) .. (غادة) تطلب هذا المبلغ من تلك السيدة ولا تطلبه منى أنا . إنها تعلم أننى لا أؤخر عنها شيئًا، ولا أى مبلغ تطلبه .. كما أنها تعلم أن هذه أموالها، لها أن تطلب منها ما تشاء .. وكل ما هنالك أننى أدير هذه الأموال لحسابها . إن لها رصيدًا فى البنك يتجاوز

الخمسمائة ألف جنيه .. فلم تكون بحاجة إلى هذا المبلغ ، وتسعى لاقتراضه من (فايزة ناصر) ؟ وقد كنت أعتقد أن هذه السيدة فقيرة وتحتاج إلى المساعدة والعطف والرعاية . لذا فأنا بحاجة لأن ألتقى بك فى مكتبى قبل الذهاب إلى النيابة .

قال له (سمير) :

ـ سآتى حالا .

ثم وضع السماعة دون أن يعقب . وقال الأب الذى كان يراقب المكالمة :

ـ ماذا حدث ؟

أجابه (سمير) :

ـ آسف يا أبى .. يجب أن أعود إلى القاهرة الآن .

ـ هل أنت ذاهب للقاء (مجدى) وأخته ؟

ـ نعم .

ـ سبحانه مغير الأحوال .. لقد كنت تسعى إلى الهرب منهما منذ لحظات .. ألن تريح قلبى وتخبرنى بالأمر ؟

ـ ليس لدى وقت للشرح الآن .. لابد أن أعود إلى القاهرة سريعًا .

وطوال الطريق عادت الهواجس لتنتاب (سمير) ، وهو يتساءل عن السر وراء هذه الرسالة .. والسبب الذى يدعو (غادة) لكى تطلب هذا المبلغ من تلك السيدة . ترى .. أيكون اعتقاده بعدم ذهاب (غادة) إلى منزل هذه السيدة فى تلك الليلة غير صحيح ؟ وهل يكون لها دور فى موتها ؟ إن الأمر يزداد بالنسبة له غموضًا .. ولكن لا . لا يمكن أن تكون (غادة) متورطة بشكل ما فى وفاة هذه السيدة إن هذا التصور يجب أن يكون أبعد ما يكون عن تفكيره .

وزاد من سرعة سيارته .. وهو يتعجل الوصول إلى القاهرة . فـ (غادة) أحوج ما تكون الآن لوجوده بجوارها .. إذا أن ظهور هذه الوقائع الجديدة قد يورطها بالفعل . وما إن دخل على صديقه فى مكتبه ، حتى لاحظ أمارات القلق التى ترتسم على وجهه ، وبادره (مجدى) قائلًا :

ـ نفسى تحدثنى بأنك لم تكن مع (غادة) فى تلك الليلة .. وأنك كذبتنى لتؤيد أقوالها وتريحنى من الظن والشكوك .

ـ وأنا أقول إنها كانت معى ، ولست بحاجة للتأكيد على ذلك .

- (غادة) ستحضر بعد قليل إلى مكتبى ، لنذهب جميعًا إلى النيابة .. فهل سألتها بشأن ذلك المبلغ .. إنها تقدرك وتثق بك ، وأعتقد أنها لن تخفى عنك حقيقة الأمر .

هزَّ (سمير) رأسه قائلًا بمرارة ..

- وهى تقدرك وتثق بك إيضًا .. وبإمكانك أن تسألها عن ذلك .

قال ذلك ووقف أمام النافذة المطلة على الشارع ليفتحها ، وقد أحس بأنه يكاد أن يختنق ، وقد سمع (مجدى) يقول :

- أعتقد أنها قد أصبحت تخفى علىّ الكثير من الأمور فى الفترة الأخيرة .

قال (سمير) لنفسه :

- لست وحدك فى هذا الأمر .

وظل يحدق فى الشارع ، وهو يفكر فى أكثر من احتمال ، وراء هذه الرسالة الغامضة . ثم ما لبث أن رأى سيارة تتوقف أمام مبنى الشركة .. ونزل منها أحد الأشخاص .. ثم نزلت (غادة) حيث صافحها بحرارة ، قبل أن يتركها تدخل إلى مبنى الشركة وهو يتابعها بنظراته ..

وكانت هذه النظرات تحمل الكثير ..

الكثير جدًا .

★ ★ ★

٩ - القلب الحائر ..

دخلت (غادة) حجرة أخيها ، وفوجئت بوجود (سمير) .. لكن المفاجأة سرعان ما زالت ، وقد حل محلها سعادة لرؤيته مجددًا ، إذ انتابتها الهواجس طوال اليومين الماضيين ، مظنة أنه سيتباعد عنها وعن أخيها ، بعد لقائهما الأخير . وقالت له دون أن تحاول إخفاء سعادتها :

- (سمير) .. يسعدنى أن ألتقى بك هنا .. ولكننى علمت أنك ذهبت إلى البلدة ، وكنت أنوى أن أذهب إلى المزرعة برفقة (مجدى) غدًا ، فظننت أننا سنلتقى هناك .

قال لها (مجدى) بلهجة هادئة :

- أنا الذى طلبت منه المجىء تليفونيًا .. للحضور معنا فى تحقيقات النيابة اليوم .

سألته (غادة) :

- وما الداعى لحضوره معنا ؟ ينبغى ألا نزج به فى هذا الأمر أكثر من ذلك .

قال (مجدى) :

- لا تنسى أنه الشاهد الوحيد على عدم ذهابك إلى (فايزة ناصر) فى هذه الليلة .

فقالت :

ـ الأمر لا يحتاج إلى كل هذه التعقيدات .. ولا لشهادة أحد .. لقد انتحرت هذه المسكينة ، والشرطة والطب الشرعى أثبت ذلك .. فليس فى الأمر شبهة جنائية ، تستدعى أن نبدى كل هذا الانزعاج والقلق .

قال لها (سمير) :

ـ رجال الشرطة والنيابة لا يكفون عن الشك .. ولا يأخذون الأمور بمثل هذه البساطة التى نتناولها بها .

قالت بانفعال :

ـ ولكن ليس لديهم ما يثير الارتياب فى شخص .. لقد كنت أنوى زيارة المرحومة (فايزة) واتصلت بها تلفونيًا لأخبرها بذلك .. ثم غيرت رأيى .. وفضلت أن أخرج معك فى هذا اليوم ، بعد أن ذكرتنى بأنه يوم عيد ميلادك .

قالت عباراتها الأخيرة بصوت خافت ومتعلثم ، لا يتفق والانفعال الذى تحدثت به فى عبارتها الأولى . وقد أحست بأنها لا تقوى على النظر فى وجه (سمير) وهى تردد ذلك . وتدخل (مجدى) فى الحديث قائلًا :

ـ بل يوجد .. يوجد ما يثير الارتياب بشأنك يا (غادة) .. يوجد مبلغ عشرين ألف جنيه اقترضتها من (فايزة ناصر) قبل موتها .. وتركت خلفك رسالة ترجين فيها أن تمنحك

هذا المبلغ ، وإلا حدثت كارثة .. أليس كذلك ؟ ماذا تريدين أكثر من ذلك ، لكى لا يكتفى رجال المباحث بتقرير الطب الشرعى ، ويصرون على فتح ملف القضية والنبش وراءك ؟

ارتبكت الفتاة ، وقد هزها ما قاله أخوها ، فبدت عاجزة عن النطق لبرهة من الوقت .. ولكنها تمالكت نفسها ، وحاولت ألاتكون فى موقف الدفاع ، وأن تتحول إلى الهجوم قائلة لأخيها :

ـ (مجدى) هل تشك فىَّ ؟

قال (مجدى) بلهجة حاسمة :

ـ لست أنا الذى أشك فيك .. ولكن رجال المباحث والنيابة لابد أنهم سيشكون فيك .. فهناك الاتصال التليفونى .. والموعد الذى حددته لزيارتها [illegible] أيضًا مبلغ عشرين ألف جنيه طلبت اقتراضه منها ، ولا يعلم أحد به حتى ولا أخوك الوحيد . على الأقل إذا لم يوجه لك اتهام مباشر ، فقد يتهمونك بأنك دفعتها إلى الانتحار ، أو أرغمتها على تناول تلك الحبوب المخدرة ، لكى لا تدفعى لها مبلغ القرض الذى اقترضته منها .

قالت (غادة) :

ـ ولكنى سلمت لها هذا المبلغ .

سألها (مجدى) :

ـ ألديك إيصال بذلك ؟

قالت :

ـ كلًا .. لقد كان كل منا يثق بالآخر ثقة مطلقة .. وعندما اقترضت منها هذا المبلغ لم تأخذ إيصالًا فى مقابل ذلك .. وكذلك عندما سددته لها لم آخذ منها إيصلًا يدل على ذلك .

قال (مجدى) :

إذن .. فلا يوجد فى أيدى المحققين الآن سوى تلك الرسالة التى تطلبين فيها مبلغ القرض ، دون أن يوجد ما يدل على السداد .

تدخل (سمير) فى الحديث ، قائلًا :

ـ إنه على كل حال لا يصلح أن يكون دليل اتهام قوى ضدها .. فلا يوجد ما يدل على أنها قد أخذت المبلغ فعلًا .. ولا يوجد ما يدل على سدادها له .

قال (مجدى) دون أن يخفى قلقه :

ـ ولكن توجد تلك الكلمة الأخيرة التى وردت فى رسالتها «وإلا حدثت كارثة» ألا يوحى ذلك للمحققين بشىء ؟

ردّ (سمير) :

ـ إنها كلمة ممكن أن تقال فى مواقف شتى .. كأن يكون المرء على وشك التعرض لضائقة مالية شديدة .. فلتذكر (غادة) ما قالته لنا أمام المحقيين بحذافيره ، وأعتقد أنهم لن يجدو فى ذلك ما يثير ارتيابهم .

قال (مجدى) :

ـ حسن .. وإذا سألوا عن سبب الاقتراض .

قالت (غادة) :

ـ هذا ليس من شأنهم .

قال (مجدى) بغضب :

ـ بل من شأنهم . كما أنه من شأنى أنا أيضًا أن أعرف سبب اقتراضك لهذا المبلغ من تلك السيدة . هل ضننت عليك يومًا بأى مبلغ تطلبينه ؟ ولماذا تطلبين ؟ إن لك حسابًا فى البنك ، تستطيعين أن تسحبى منه المبلغ الذى تريدينه .

صمتت (غادة) دون أن تجيبه بشىء .. فعاد ليقول لها :

ـ (غادة) لِمَ لا تردّين ؟

أطلقت زفرة قصيرة ، قائلة :

ـ أرجوك لا تحاول أن تطلب منى إجابه الآن .

وقال (مجدى) مندهشًا :

ـ ولكنك لم تخفى عنى شيئًا قط من قبل .

قالت (غادة) ، وهى تغالب عبراتها :

ـ أرجوك يا (مجدى) .. لا تلح علىّ .

قال (مجدى) وهو يشعر بالقلق من أجل أخته :

ـ إننى أشعر بعدم ارتياح منذ وفاة تلك السيدة .. لقد أصبحت أراك دائمًا حزينة وحائرة ، وإن حاولت أن تتظاهرى أمامى بغير ذلك .. فما الذى يحول بينك وبين أن تنفضى

همومك أمامى، لنتعاون معًا على حملها ؟ لقد كنت أعد نفسى بمثابة الأب والصديق، ولست مجرد أخ لك فقط يا (غادة) . وكنت أظن أنك تشعرين بهذا .

قال له (سمير) محاولًا تهدئة خواطره :

- لا تحاول الضغط عليها أكثر من ذلك يا (مجدى) .. لقد حاولت قبلك وفشلت . لابد أن لها إسبابًا وجيهة تستدعى أن تحتفظ لنفسها ببعض الأسرار الخاصة .

قال (مجدى) :

- حتى بالنسبة لى ؟

ردّ (سمير) :

- حتى بالنسبة لك .. لكل شخص أسراره الخاصة التى لا يستطيع أن يطلع عليها حتى أقرب المقربين إليه .

وقالت (غادة) لنفسها :

- ها هو يدافع عنى مرة أخرى كما هى عادته دائمًا، وإن كنت أعرف أنه أكثر تألمًا وغضبًا من (مجدى)، لعدم إطلاعه على حقيقة الأمر . هذا هو (سمير) .. قد يغضب علىّ .. ويكون فى غاية الاستياء منى .. ولكنه لا يتوانى عن الوقوف بجانبى والدفاع عنى، كلما جابهت موقفًا صعبًا .. حتى لو كان دفاعه عن ذات الموقف الذى غضب من أجله .

وقال (سمير) :

- المهم الآن أن نتوجه للنيابة لندلى بأقوالنا، ونحاول إنهاء هذا الموقف .

ونظر إلى (مجدى) مستطردًا :

- هل اتصلت بالمحامى ؟

قال له (مجدى) ومعالم الاستياء ما زالت واضحةً على وجهه :

- سنجده فى انتظارنا بالنيابة .

قال (سمير) :

- على كل حال اطمئننا، أنا واثق بأن الأمور ستنتهى على خير .

وفى النيابة سألها المحقق، قائلًا :

- هل كنت صديقة للسيدة (فايزة ناصر) ؟

أجابت :

- نعم .. بالإضافة إلى أنها كانت تمت لنا بصلة قرابة من بعيد .

قال وكيل النيابة :

- لقد قالت خادمة المتوفاة أنك اتصلت بها تليفونيًا، وأخبرتها بأنك ستمرين عليها لزيارتها ما بين الخامسة والسادسة مساءً تقريبًا .. فلماذا ؟

قالت (غادة) :

ـ لقد اعتدت زيارتها والاطمئنان عليها من آن لآخر .. فالمرحومة لم تكن تثق بأحد ولا تحب أحدًا سواى .

قال وكيل النيابة :

ـ وهل ذهبت ؟

ردّت (غادة) :

ـ كلّا :

سألها وكيل النيابة :

ـ لماذا ؟

فتردّدت برهة ، أثارت قلق كل من (مجدى) و (سمير) .. ثم ما لبثت أن قالت :

ـ دعانى صديق إلى أن أتنزه معه فى هذه الليلة ، فقبلت ، ولم أذهب إليها .

قال وكيل النيابة :

ـ ألم تحاولى أن تعتذرى لها عن عدم ذهابك ، برغم الموعد المتفق عليه بينكما ولو باتصال تليفونى ؟

ردّت (غادة) :

ـ حاولت أن أتصل بها تليفونيًا ، ولكنى لم أتلق ردًّا .

قال وكيل النيابة :

ـ متى حاولت ؟

قالت (غادة) :

ـ فى حوالى الرابعة والنصف من ذات اليوم الذى توفيت فيه .

سألها وكيل النيابة :

ـ ألم تذكر السيدة (فايزة) أمامك من قبل أنها تفكر فى الانتحار ؟

ردّت (غادة) :

ـ كانت كثيرًا ما تردّد بأنها زهدت الحياة .. وأنها تتمنى أن يأتيها الموت بصورة عاجلة .. كانت رحمها الله تتعرض لنوبات اكتئاب شديدة ، وتبدو حزينة دائمًا ، وقد حاولت أن أخرجها من وحدتها ، ومن هذا الجو النفسى المسيطر عليها ، كما ألححت عليها فى أن تأتى لقضاء بعض الوقت فى منزلنا أو فى المزرعة ، ولكنها كانت ترفض دائمًا . .

قال وكيل النيابة :

ـ ومن ذلك الصديق الذى خرجت معه فى هذه الليلة ؟

تدخل (سمير) فى الحديث ، قائلًا :

ـ أنا هو ذلك الصديق .

فتأمله وكيل النيابة مليًا ، قائلًا :

ـ أشكرك .. ولكن من فضلك لا تتدخل فى الحديث قبل أن أسألك .

ثم نظر إليها قائلًا :
- هل اقترضت من المتوفاة مبلغًا معينًا قبل وفاتها ؟
- نعم عشرين ألف جنيه .
- لماذا ؟
- لأسباب شخصية .
- ألا أستطيع أن أعرف ما هى تلك الأسباب ؟
قالت (غادة) بثبات :
- أعتقد أن لكل منا الحق ، فى أن يقترض ويسدد قرضه لأسباب خاصة به .
- وهل سددت قيمة هذا القرض ؟
- نعم .
- وهل لديك ما يفيد السداد ؟
- كلا .. إننا لم نكن نتعامل مع بعضنا بالإصالات والأوراق الرسمية .. لقد أخذت منها المبلغ بطريقة ودية ، ودون أوراق تثبت ذلك ، وسددته لها بنفس الطريقة .
ألقى وكيل النيابة بعض الأسئلة على (سمير) و (مجدى) .. ثم طلب منهم مغادرة الحجرة ، فى حين بقى المحامى ليتناقش معه فى بعض الأمور والتفاصيل المتعلقة بالتحقيق . وما لبث المحامى أن غادر حجرة وكيل النيابة ، والابتسامة على وجهه قائلًا لهم :
- مبروك .. لقد حفظت القضية .

وتنفس الجميع الصعداء .. وقد أحسّوا بأنهم تخلصوا من كابوس ثقيل ، كان يجثم على صدورهم طوال الأيام الماضية .
وقال (مجدى) :
- الحمد لله .. الآن ارتحت وهدأ بالى .
ثم أردف قائلًا لـ (غادة) :
- أعتقد أننا نستطيع الآن أن نذهب إلى المزرعة ؛ لقضاء بعض الوقت هناك لكى نريح أعصابنا .. فهناك سأجد الراحة والهدوء النفسى ، اللذين افتقدتهما طوال الأيام الماضية .
ثم التفت إلى (سمير) ، قائلًا :
- ما رأيك يا (سمير) ؟
قال له (سمير) :
- أعتقد أننى سأتخذ وجهة أخرى .
سأله (مجدى) :
- وهل ستجد مكانًا أفضل من البلدة والمزرعة ؟
ردّ (سمير) :
- لقد اتفقت مع صديق لى على الذهاب إلى مرسى مطروح .. إنه يحتفظ لنفسه بشاليه هناك ، سنقضى فيه بضعة أيام للاستجمام .
قال (مجدى) :

ـ ولكننا كنا نفضل أن تكون معنا .. فأنت تعرف أننا اعتدنا على أن تكون معًا دائمًا .

ردّ (سمير) :

ـ الأيام قادمة كثيرًا .

وقبل انصرافه انتهزت (غادة) فرصة انشغال أخيها مع المحامى، لتقترب منه هامسة، وهى تقول :

ـ هل ستستمر فى محاولاتك هذه للتهرب منى ؟

أجابها :

ـ إننى لا أتهرب منك .. ولابد أن الأيام ستجمعنا بشكل أو بآخر .

فقالت له :

ـ (سمير) .. أنت تعرف مكانتك عندى أنا و (مجدى) .

قال بمرارة :

ـ هناك أشياء كثيرة كنت أظن أننى أعرفها .. ولكن يبدو أننى كنت مخطئًا فى ذلك .

قالت له بتوسل :

ـ ولكنك تعرف حقيقة مشاعرى نحوك .

قال بنفس المرارة :

ـ حتى هذه أصبحت أجهلها .

ـ إذن .. فأنت لا تريد أن تغفر لى .

ـ وكيف يتأتى ذلك، وأنا لا أعرف عن أى شىء أغفر لك ؟.. عن كذبك علىّ، أم عن إقحامك لى فى كذبتك .. أم عن الغموض المحيط بتلك الليلة والتى لا تريدين توضيحه لى ولا لأخيك ؟.. أم عن رؤيتى لك مع ذلك الشاب الذى أوصلك اليوم إلى مبنى الشركة، والذى كان يصافحك بحرارة، ويودعك وكأن بينكما ارتباط وثيق ؟

حاولت أن تتكلم ولكنه أردف قائلًا :

ـ لقد حفظت النيابة ملف القضية .. أما بالنسبة لى فإنها لم تغلق يا (غادة) .. لم تغلق بعد .

* * *



١٠ - لاتهجرنى ..

لم يحاول (مجدى) أن يثقل عليها بالمزيد من الاستفسارات، بعد أن شعر بأنها قد عانت كثيرًا خلال الأيام الماضية .. لذا لم يشأ أن يحملها المزيد من المعاناة، بطرح الأسئلة والاستفسارات، التى لم يحاول أن يثيرها محقق النيابة، وأجل ذلك لما بعد . أما هى فلم تسعد كثيرًا بحفظ التحقيق .. وعادت من النيابة محملة بالمزيد من الهم والحزن، بعد أن فارقها (سمير) . لقد همت بأن تسرع خلفه قبل مغادرته مبنى النيابة، لكى تعتذر له وتشرح كل شىء ولكن شيئًا ما جمدها فى مكانها .. ونظرت إلى الباب الذى خرج منه، وقد أجهشت بالبكاء . وبرغم أن أخاها لاحظ ذلك، إلا أنه لم يحاول أن يسألها عن سبب بكائها الذى حاولت أن تخفيه عنه .

وفى تلك الليلة خلعت ثيابها .. وقبل أن تأوى إلى الفراش، سمعت رنين التليفون يدق فى ركن مخدعها، فتناولت سماعة الهاتف لتسمع صوت ذلك الرجل الذى تمقته، قائلًا :

- مبروك حفظ التحقيق .

فاكفهر وجهها قائلة :

- ماذا تريد ؟

قال لها (كمال) :

- هكذا .. كان من الواجب أن تكلمينى بلهجة أكثر حنوًا .. خاصة بعد أن أزيح عبء هذه القضية الثقيلة .

قالت (غادة) :

- لم يكن هناك ما يقلقنى بشأن هذه القضية .. فلم يكن لى أى دخل فيما حدث بشأنها، إن ما يقلقنى حقيقة هو أنت، وظهورك مرة أخرى فى حياتى .

قال (كمال) :

- لقد كنت أعتقد أنك ستسرين لظهورى مرة أخرى فى حياتك .

ردت (غادة) :

- لو علمت مبلغ كرهى لك، لما فكرت فى أن ترينى وجهك مرة أخرى .

ضحك قائلًا :

- هذا كلام تقولينه من وراء قلبك .

- إننى لم أر شخصًا لحوحًا وسمجًا أكثر منك .

- سامحك الله .. لو تعلمين مقدار ما أكنه لك من حب، لما قلت لى هذا .

- ألن تكف عن مطاردتى بهذه الطريقة السخيفة ؟..
لقد قلت لك إن كل ما كان بيننا قد انتهى .. ولقد ظننت أنك قد خرجت من حياتى تمامًا ، بعد أن أخذت منى العشرين ألف جنيه التى طلبتها .

- عشرين ألف جنيه .. إنك تساوين عندى كنوزًا يا (غادة) .

- حسن .. والآن ماذا تريد ؟

- لا .. لا شىء .. أردت فقط أن أسمع صوتك .

- وها أنت قد سمعته .

- ما رأيك لو تعشينا معًا غدًا ؟

- لا .. لن أقابلك غدًا أو بعد غد أو فى أى يوم آخر .

- إذن سأمر عليك فى المنزل بنفسى .

- إياك أن تفعل هذا . سمعته يضحك ضحكة المنتصر قائلًا :

- لا تخافى .. كنت أضحك معك فقط .. على كل حال ، لو أدرت أن ألقاك ، فسوف ألقاك فى أى مكان تكونين فيه .. وحتى لو ذهبت إلى آخر العالم . قلبى سيدلنى عليك .

- أرجوك أريد أن أنام .

- عندما كنا معًا ، لم تكونى ترغبين فى النوم مبكرًا هكذا .. فهل غيرت من عادتك ؟

ولما لم تجبه استطرد ، قائلًا :

- بالمناسبة .. ألن تعرفينى بذلك الرجل الشهم ، الذى تطوع بالادعاء بأنه كان فى صحبتك تلك الليلة التى ماتت فيها (فايزة ناصر) ؟

- لا شأن لك به .

- من الواضح أنه شديد الاهتمام بك .. وإلا لما وافق على أن يشارك كذبتك على هذا النحو . على كل حال كما تريدين .. لن نتحدث بشأنه الآن .. ولكن من الأفضل له أن يكتفى بتمثيل دور الشهم إلى هذا الحد ، وأن يبتعد عن طريقك تمامًا منذ الآن .

- أنت الذى يتعين عليك أن تبتعد عى طريقى منذ الآن .. وأرجو أن تتركنى وشأنى .

قال لها ساخرًا :

- ليتنى كنت أستطيع هذا .. اعذرينى ، فالأمر ليس بيدى .

سألته قائلة :

- ما المبلغ الذى تريده هذه المرة يا (كمال) ؟

ضحك قائلًا :

- قلت لك إنك تساوين كنوزًا فى نظرى يا (غادة) .. بل إن كنوز الدنيا لا تغنينى عنك .. تصبحين على خير يا حبيبتى .

وأغلق سماعة الهاتف ، وضحكته الساخرة تدوى فى أذنيها ، فانهارت على فراشها وهى تبكى بكاءً مرًّا .

★ ★ ★

جلس (مجدى) يتناول الإفطار مع أخته ، وقد لاحظ أنها تقريبًا لا تأكل شيئًا ، فسألها :

ـ لماذا لا تأكلين ؟

ـ ليس عندى شهية لتناول الطعام .

ـ ستنفتح شهيتك عندما نذهب غدًا إلى المزرعة .

ـ أريد أن أذهب إلى مرسى مطروح .

نظر إليها بدهشة ، قائلًا :

ـ مرسى مطروح ؟!

ـ نعم .. سأقضى يومين عند ابنة خالة والدتنا .. أنت تعرف أن زوجها قد أصبح نائبًا للمحافظ هناك .. وهم يلحون علىّ منذ فترة أن أذهب إليهم .. وأقضى جزءًا من الصيف معهم .

نظر إليها نظرة فاحصة ، قائلًا :

ـ بل أنت تريدين الذهاب من أجل (سمير) .

قالت محتجة :

ـ (مجدى) .

ـ أتظنين أخاك مغفلًا ؟ إننى أفهم كل شىء .. فلولا أنه أخبرنا بأنه ذاهب إلى مرسى مطروح .. ما كنت قد فكرت فى الذهاب إلى هناك .. وقد كنت تقترحين على منذ يومين فقط ، أن نذهب إلى المزرعة عندما علمت بذهاب (سمير) إلى هناك .

ـ كل ما هنالك أننى أريد بعض التغيير .. فقد سئمت التردّد على نفس الأماكن التى اعتدتها .

ـ إذن سأذهب معك .. ولو أنى أفضل المزرعة .

ـ (مجدى) .. إننى لست بطفلة صغيرة لكى ترافقنى أينما ذهبت .. ثم إنهم لم يدعوا أحدًا سواى .. ومادمت تفضل الذهاب إلى المزرعة .. فليس هناك ما يدعوك إلى تغيير رغبتك .

ـ ستبقين فى نظرى دائمًا طفلة صغيرة ، يتعين علىّ أن أرعاها .. إلى أن تتزوجى ويتولى عنى زوجك هذه المسئولية .

ـ إننى أستطيع أن أرعى نفسى جيدًا .

أطلق (مجدى) زفرة قصيرة ، قائلًا :

ـ إذن فأنت لا تريديننى معك ؟

ـ إننى سأقضى بضعة أيام قليلة ، عند وفاء ابنة خالة والدتنا ، ثم أعود .. فالأمر لا يحتاج إلى كل هذا القلق .

ـ إننى لست قلقًا بسبب ذهابك إلى مطروح .. بل إنه قلقى بسبب (سمير) .

ـ (سمير)؟! منذ متى كان (سمير) مصدر قلق لك ؟ لقد كان دائمًا موضوع ثقتك وأقرب الأصدقاء إليك . لقد فتحنا أعيننا على هذه الدنيا ونحن نعتبره واحدًا منا .

ـ كل ما تقولينه صحيح .. (سمير) بالنسبة لى بمثابة أخ عزيز .. وهو بالفعل رفق طفولتنا وصبانا وشبابنا .. لكن الأمر يختلف عندما أرى مشاعرك تأخذ هذه الوجهة نحوه ، فالصداقة والتآلف شىء والحب شىء آخر .

قالت (غادة) وقد تضرج وجهها بالاحمرار :

ـ ومن قال إننى أحبه .

ظل (مجدى) محدقًا فيها ، وهو يقول :

ـ قلت لك إننى لست مغفلًا يا (غادة) .. إن لى عينان تريان الأمور جيدًا .. وليس معنى أننى لا أتحدث معك فى بعض الأشياء ، أننى لا أعلم ما يخفى وراءها . لقد تنبهت منذ فترة غير بعيدة على حقيقة مشاعرك نحو (سمير) .. وأعتقد أنه يبادلك هذه المشاعر .. وإن حرص دائمًا على إخفائها .. .. ربما احترامًا لى .. وربما لإحساسه بالفارق الاجتماعى والمادى الذى يفصل بينك وبينه .

ـ ولو قلت لك إننى أكن له بالفعل عاطفة قوية .. فماذا سيكون رأيك فى هذا ؟

سألها (مجدى) :

ـ لو أراد (سمير) أن يتزوجك فهل تقبلينه زوجًا لك ؟

لم تجب عليه (غادة) ، بل أطرقت برأسها ، وقد ازداد وجهها تضرجًا . فعاد ليسألها وهو يحاصرها بنظراته :

ـ لماذا لا تجيبين ؟

أجابته بصوت خفيض :

ـ ولكنه لم يفعل أبدًا .

ـ أنا أقول فلنفترض .. فلنفترض أنه أراد أن يتزوجك .. فماذا سيكون ردك ؟

قالت دون أن تنظر إليه :

ـ أعتقد أننى سأوافق .

ـ أما أنا فسأرفض .

نظرت إليه (غادة) بجزع قائلة :

ـ لماذا ؟

ـ لأنه ليس الشخص المناسب لك .

ـ أنت يا (مجدى) الذى تقول هذا .. برغم الصلة القوية التى تربطك به ؟

ـ نعم .. لأننى لا أفكر مثلك بمنطق عاطفى .. عندما يتعلق الأمر بك فعلىَّ أن أكون واقعيًا وعقلانيًا .. إن (سمير) لن يستطيع أن يوفر لك الحياة التى اعتدتها

منذ الصغر ، إمكانياته وقدراتـه لن تسمـح له بذلك ..
وعندما تهدأ المشاعر العاطفية القوية ، التى تدفعك نحوه
بحكم التآلف الطويل الذى جمع بينكما ، ستحسين بهذا
الفارق ، وسينغص ذلك عليكما حياتكما .

ـ ولكنى لست فقيرة .. إن لى رصيدًا من المال يسمح
لى بأن أعيش معه فى نفس المستوى الذى اعتدته .

ـ ولكنه لن يقبل أن يشاركك مالك .. إننى أعرف
(سمير) جيدًا .. إنه ليس بالرجل الذى يرضى بأن يعيش
على أموال زوجته .

ـ (سمير) ليس عاطلًا .. إنه محاسب كبير .. ويستطيع
أن يشاركنى بجهده وخبرته فى إدارة أموالى ، على النحو
الذى كنت تديره به .. يمكنه أن يكون له مكتب محاسبة
كبير يديره بنفسه ، وأكون أنا شريكته الوحيدة ، لو أصر
على ألا يشتريه بنقودى ، كما يستطيع أن يتولى إدارة أى
مشروع تجارى يدر علينا دخلًا جيدًا وتنمى عن طريقه
أموالنا .

ابتسم (مجدى) وهو ينظر إليها ، قائلًا :

ـ يبدو أنك قد دبرت كل شىء تأهبًا لهذا الزواج
المنتظر .

أحنت رأسها خجلًا ، دون أن تعقب بشىء ، فواصل
حديثه ، قائلًا :

ـ وماذا إذا رفض وتمسك بأن تعيشى معه على دخله
المحدود ؟

ووجدت نفسها تقول :

ـ سأقبل ذلك .

تأملها أخوها قائلًا :

ـ لم أكن أدرى أنك تحبينه بهذا القدر .

قالت بلهجة حزينة :

ـ ولكنه لم ولن يحاول أن يطلبنى للزواج على أى حال .

عقب (مجدى) قائلًا :

ـ من يدرى ؟.. على كل حال هذه حياتك .. وإذا كنت
تكنين له كل هذا القدر من الحب .. فلن أعارض .

أحست (غادة) بحنو شديد تجاه أخيها .. فقد أحاطها
دائمًا بعطفه وحنانه ، ولم يحاول أن يرفض لها مطلبًا ،
حتى لو كان يتعارض مع رغباته . ولو كان أبوها وأمها
أحياء حتى اليوم ، لما وجدت لديهما أكثر من هذا الحنان
والرعاية التى يحيطها بهما أخوها .. والذى أبى على نفسه
أن يتزوج حتى اليوم قبل أن يعمل على زواج أخته .. على
النحو الذى تختاره .. والذى يتحقق له به الاطمئنان
عليها . كم تحب هذا الأخ العطوف الرقيق .. إن حبها له
فى قلبها لاينافسه سوى حبها لـ (سمير) .

وسألها قائلًا :

ـ ومتى ستسافرين ؟
ـ غدًا .. سأستقل الطائرة المتجهة إلى مطروح فى الثامنة صباحًا .
ـ أما أنا فسأذهب إلى المزرعة .. وسأكون فى انتظارك هناك .. لن أعود إلى القاهرة قبل عودتك .
واستقلت (غادة) الطائرة المتجهة إلى مرسى مطروح فى صباح اليوم التالى . وأسلمت رأسها إلى مقعد الطائرة الوثير وهى تفكر .. ترى هل ستتاح لها الفرصة للقائه هناك ؟.. وإذا قابلته ، فهل ستستطيع أن تتغلب على خصامه لها وهجره لمشاعرها ؟ إنه معذور فى غضبه منها .. وهى أيضًا معذورة فى عدم إطلاعه على الحقيقة ، فلو أطلعته عليها لفقدته إلى الأبد .
وتنهدت وقد عاودها التفكير .. هل فى مقدورها أن تطلعه على عاطفتها الكاذبة الهوجاء ، التى جلبت عليها منذ عامين كل هذه المتاعب . هل تستطيع أن تخبره عن ذلك اللقاء ، الذى جمعها بـ (كمال) فى أحد شواطىء الإسكندرية ، عندما كانت تقضى الصيف هناك ؟ والذى كان بداية شقائها ؟
لقد كانت معه فى هذه الليلة السوداء .. ذهبت للقائه خوفًا من تهديده لها . واستبقاها معه كل هذه الساعات برغم إرادتها . كان يعاملها كما لو كانت ملكًا خالصًا له .. وكانت تخشاه .. وهى تعرف مدى خسته ونذالته .

هل قدر عليها أن تقع تحت رحمة هذا الشقى ؟ كلا إنها لن تسمح له بأن يفرض إرادته عليها .. كما لا يمكنها أن تمحو الماضى . ولو أنها قصت ما حدث على (مجدى) منذ أشهر ، لوقف بجانبها وساندها ضد هذا الرجل .. ولكنها خافت .. مشكلتها الدائمة كانت الخوف .. الخوف الذى لم تعرفه إلا منذ أن التقت بـ (كمال) .
ولكن ربما كان الأمر أهون مما تتصور .. وأنها قد تركت نفسها لمخاوفها لتتحكم فيها .. وربما أحس (كمال) بهذا ، فمكنه ذلك من أن يتحكم فيها أيضًا ويستغل خوفها ذلك . ولعل ما زاد من هذه المخاوف ، حبها لـ (سمير) وخشيتها من أن يطلع على سرها .
ليتها ما ذهبت إلى الإسكندرية فى هذا الصيف .
واستعادت ذكريات مرحها وصباها مع (سمير) .. لقد كان دائمًا حيًا فى وجدانها ، حتى عندما دخل هذا الشيطان إلى حياتها ، وجعلها تتوهم أنها تحبه .
ترى .. هل تستعيد (سمير) من جديد ، بعد أن بدأ يتجاوب معها ومع مشاعرها ؟ هل سيغفر لها إذا ما روت له حقيقة ما حدث ؟ أم أنها فقدته إلى الأبد ؟

★ ★ ★

١١ - خذنى بعيدًا ..

جلس (سمير) على شاطىء البحر ، وهو شارد فى الأفق الممتد أمامه .. وتنفس ملء رئتيه وهو يستنشق نسيم البحر العليل . ثم ما لبث أن قال لنفسه :

- المكان هنا يبعث على الصفاء والراحة النفسية اللذين أبحث عنهما منذ أيام دون أن أجدهما . ترى هل سيخلصنى ذلك الهدوء المخيم على المكان .. وأمواج البحر ونسيم الهواء النقى من هموم نفسى ؟.. ولكن ماذا تفعل الطبيعة الخلابة فى نفس عاشق غيور معذب بغيرته وظنونه ؟

كيف يطفئ هذا الهواء العليل تلك النيران المتأججة فى قلبه ؟ وكيف يمكن لأمواج البحر أن تجرف تلك الشكوك التى ترسبت فى أعماقه ، شكه فى حبها له .. وشكه فى إخلاصها .

لقد ادعى أنه جاء إلى هنا بصحبة صديق .. ولكنه فى الواقع جاء بمفرده ، بعد أن أخذ من شريكه فى المكتب (فهمى) مفتاح الشاليه الخاص به ، لقضاء بضعة أيام

فى ذلك المكان الذى وصفه له بأنه ساحر ومريح للأعصاب .. وأنه سيبدل من حالته النفسية المضطربة والتى تنعكس آثارها على وجهه وتصرفاته .

فى البداية كان يفضل أن يذهب إلى البلدة ، ويبقى بضعة أيام بصحبة أبيه .. ولكنه وجد أنها ستلاحقه هناك .. فقبل عرض صديقه .. ووجدها فرصة سانحة للهرب منها . وعندما جاء إلى هنا ، ظن أنه قد نجح فى الهروب . ولكن سرعان ما اكتشف أنها معه أينما ذهب .. وأنه كان واهمًا عندما ظن أنه باستطاعته أن يتخلص منها بسهولة إنه يذكرها دائمًا .. وكلما تذكرها تذكر معها أكذوبتها الغامضة .. وصورة ذلك الشاب وهو يودعها أمام مبنى الشركة .. والغموض المسيطر على تصرفاتها والتى تأبى أن تكشف بعض طلاسمه حتى بالنسبة لأخيها . ووثب خاطره إلى أن (غادة) لابد أنها مرتبطة بعلاقة عاطفية مع ذلك الشاب ، الذى كان برفقتها أمام مبنى الشركة ، وأنها كانت برفقته فى تلك الليلة ، التى توفيت فيها قريبتها . وأحس بنيران الغيرة تلهب قلبه .

لقد كانت كل تصرفاتها ، ونظرات عينيها ، ولمسات يدها له ، تؤكد له أنها تحبه ، بل تهيم به ، ولكن يبدو أنه كان واهمًا فى تصوراته . ربما أحبته فى مرحلة ما من

حياتها .. ثم تلاشى هذا الحب .. ولكن تلك النظرة ، تلك النظرة التى كان يراها فى عينيها فى الأيام الأخيرة .. إنها هى .. هى ذات النظرة التى أوحت له بأنها تهواه ، لم تختلف كثيرًا عما مضى .

أيمكن أن تكون قد أحبته وأحبت معه شخصًا آخر فى ذات الوقت ؟.. ولكن المرأة عندما تحب لا يتسع قلبها لشخصين .. هكذا تعلم من الروايات التى كان يقرؤها ومن قصص الحياة التى سمعها .

أيمكن أن تكون (غادة) من ذلك النوع العابث من الفتيات ، التى تبحث عن التسلية واللهو بإطلاق العنان لعواطفها مع أكثر من شخص ؟

ولكن .. لا .. إنه يعرف (غادة) جيدًا .. لقد تربى معها .. إن هذا النوع من اللهو والعبث كان متاحًا لها دائمًا ، وهى الفتاة الثرية المدللة التى اعتادت أن ترتاد النوادى والحفلات والسهرات . ولكنه يشهد أنها كانت مختلفة تمامًا عن ذلك النوع من الفتيات .. وأن هذا الثراء والرفاهية التى عاشتها ، لم يفلح فى إفساد أخلاقها .. لأنها بالفعل تربت على أفضل وجه .. وكانت مثالًا للأخلاق .. فهو قد تربى معها ويعرفها جيدًا . لقد غرس فيها ما تعلمه من جدوده الذين كانوا باشوات بالألقاب ،

وفلاحين بحكم حياتهم وتقاليدهم التى تعلموها من الريف . وبرغم الحرية التى منحها لها أخوها .. فهى لم تكن حرية مطلقة .. بل استمر فى تكملة رسالة أبيه نحوها ، وغرس نفس قيمه ومبادئه فى نفسها .. وإن كان بأسلوب مختلف .. أسلوب الصديق الذى يعتمد على الإيقاع والمناقشة ، وليس أسلوب الشدة والقهر .

كل ذلك يعرفه عن (غادة) .. فما الذى حدث ؟.. أتكون قد تبدلت مع الأيام ؟ ولكن كيف لم يتأتى له أن يلاحظ ذلك ؟

وأردف قائلًا لنفسه فى مرارة :

- ومن ذا الذى يستطيع أن يكشف أغوار امرأة ؟

وبدأت الشمس تميل إلى الغروب ، فنهض (سمير) من فوق مقعده وقد تنبه إلى أنه لم يتناول شيئًا منذ الصباح . وقرر أن يذهب إلى أحد الفنادق القريبة ليتناول فيها طعامه . وبينما هو يقترب من الفندق ، لمحها وهى تغادره ، وقد استقلت سيارة صغيرة برفقة فتاة أخرى . وجمد فى مكانه برهة .. ثم فرك عينيه .. إنها هى .. (غادة) .. هنا فى مرسى مطروح . ترى ما الذى جاء بها إلى هنا ؟ أتكون قد جاءت خلفه ؟ ولكن ما الذى تريده منه ؟ لماذا لا تدعه يبتعد عنها ويهنأ ببضعة أيام بعيدًا عن كل ما يذكره بها ؟

لقد غادرت المكان على كل حال .. ويجب أن يتصرف وكأنه لم يرها .. نعم يتعين عليه أن ينسى أنه قد رآها الآن .

وتناول طعامه فى مطعم الفندق ، وهو مشغول الفكر .. حزين .. فإذا أبعدها عن واقعه .. فكيف يستطيع أن يبعدها عن خياله ؟

وكانت (غادة) قد قضت ثلاثة أيام فى ضيافة ابنة خالة والدتها وزوجها وابنتها التى كانت برفقتها فى الفندق ، والتى تقاربها فى العمر . كانوا جميعًا سعداء بها .. وحاولت أن تنسى معهم ومع البحر وجمال الطبيعة فى مطروح همومها .. واشتياقها لرؤية (سمير) ، الذى ما جاءت إلا بحثًا عنه ، دون أن تراه طوال الأيام الماضية . إن شواطىء مطروح محدودة ، والمدينة نفسها ليست كبيرة .. فلماذا لم تلتقى به حتى الآن برغم بحثها الدءوب عنه؟

وقالت لنفسها :

ـ أيكون قد أجل سفره ؟ أم أن ما قاله عن السفر إلى مرسى مطروح لم يكن سوى حيلة منه .. قالها للابتعاد عنها وعن أخيها ؟.. حتى لا يلحا عليه للسفر معهما إلى المزرعة . ولو انقضى الأسبوع دون أن أراه ، فلن يكون هناك ما يستدعى وجودى هنا ، سأعود إلى القاهرة .. سأعود وأقصّ عليه ما حدث مهما كانت النتيجة .

نعم يجب أن تحسم هذا الأمر .. وأن تكون صريحة مع الشخص الذى أحبته .

وبينما كانت تسير ذات يوم على شاطىء البحر ، وهى تتلفت حولها يمينًا ويسارًا بحثًا عن (سمير) .. إذا بها تسمع صوتًا يأتيها ، قائلًا :

ـ هل تبحثين عن أحد ؟

ارتعد جسدها وهى تلتفت خلفها ، لترى ذلك الرجل الذى أصبح بمثابة كابوس مزعج لها ، خلال الأيام الماضية .

وقالت له وقد اعتراها الاضطراب :

ـ أنت ؟

ابتسم (كمال) قائلًا :

ـ نعم .. أنا .. وهل يوجد سواى ؟

قالت بغضب :

ـ ما الذى جاء بك إلى هنا ؟

قال بأسلوبه الساخر :

ـ رياح الحب .

اشتد بها الغضب ، وهى تقول :

ـ هل وصل بك الأمر ...

ولكنه قاطعها قائلًا :

ـ اهدئى يا حبيبتى .. ألم أقل لك إننى إذا أردت أن ألقاك فسوف أجدك أينما تكونين ؟

قالت وهى تنظر إليه بكراهية :

ـ لو تعرف كم أمقتك ؟

قال دون أن يبدو أنه قد تأثر من نظرة الكراهية التى تطل من عينيها :

ـ أعرف وإن كنت مندهشًا من ذلك .. فمنذ عامين كنت تهيمين بى حبًا .

ـ كنت واهمة .

لست أدرى لماذا تلاحقنى على هذا النحو ؟ لقد عرضت عليك أن تأخذ منى المبلغ الذى تطلبه فى مقابل أن تخرج من حياتى .. ولكنك رفضت أن تخبرنى بالمبلغ الذى تريده .

نظر إليها (كمال) طويلًا قبل أن يقول :

ـ إلى هذا الحد أصبحت تكرهيننى ؟

ـ أعتقد أننى لست بحاجة لتوضيح ذلك .. فظهورك فى حياتى مرة أخرى قلبها رأسًا على عقب ، وأصبح مصدرًا لقلق ومعاناة شديدين .. حتى أننى أصبحت مستعدة لعمل أى شىء فى سبيل أن تبتعد عنى .. إلى الأبد .

قال لها بعد برهة من الصمت :

ـ إذا كان الأمر كذلك .. يمكننا أن نتفاهم .

ـ بشرط .. أن تكون هذه هى المرة الأخيرة التى أراك فيها .. حدد المبلغ الذى تريده .

ـ ولكننا لن نتفاهم هنا .

ـ وما المانع ؟

ـ إننى أنزل فى فندق قريب من هنا .. وقد أحضرت معى بعض التذكارات التى أردت أن أعرضها عليك .. بعض الصور لنا معًا ، خلال تلك الأيام السعيدة التى قضيناها معًا فى الإسكندرية .. أظن أنه يهمك أن تحصلى على هذه الصور . لقد قلت لنفسى فى البداية ، إنه ربّما أعادت لك هذه الصور الذكريات الجميلة القديمة التى جمعتنا معًا .. وربمّا حركت مشاعرك من جديد . ولكن بما أن هذه المشاعر قد تبلدت .. وبما أننا نحاول الاتفاق الآن بشكل عملى ، فيمكنك أن تأخذى هذه الصور وتقدرى قيمتها .. وبعدها نتفق على ثمن النيجاتيف (الفيلم) .. وبقية الأمور الأخرى .

نظرت إليه (غادة) باحتقار ، قائلة :

ـ يا لك من وغد .

ـ أشكرك يا حبيبتى .. ولكنك لم تدعى لى خيارًا .

ـ حسن .. دعنا ننه هذا الأمر .

ـ تحت أمرك .. سيارتى قريبة من هنا ، سنستقلها ونذهب إلى الفندق .. تنتظريننى فى الكافيتريا حتى أحضر لك الصور من غرفتى .. ثم نتفق على كل شىء .

وكان (سمير) فى طريقه إلى شاطىء البحر فى هذه اللحظة .. عندما رآهما ينصرفان فى طريقهما إلى السيارة . أسرع ينادى سيارة أجرة ، محاولًا تتبع أثرهما ..

لقد كان نفس الشخص الذى رآه معها ، وهو يوصلها إلى مبنى الشركة التى يمتلكها أخوها .

وكانت (غادة) قد بدأت تشعر بالقلق عندما بدأت السيارة تجتاز بهما طريقًا صحراويًا بعيدًا عن البحر والمدينة . فسألته قائلة :

ـ إلى أين تتجه ؟

ابتسم قائلًا :

ـ أخبرتك من قبل إننا ذاهبان إلى الفندق .

قالت (غادة) :

ـ ولكن هذا الطريق بعيدًا عن العمران .

نظر إليها قائلًا :

ـ أأنت خائفة ؟

أجابته قائلة :

ـ من فضلك أعدنى إلى الشاطىء .

قال لها :

ـ لا تخافى .. إننى أتخذ طريقًا مختصرًا

فقالت بانفعال :

ـ قلت لك أعدنى إلى الشاطىء أو المدينة .

فقال لها :

ـ والصور ؟

أجابته بقولها :

ـ يمكنك أن تحضرها فيما بعد .

ولكنه أوقف السيارة ، قائلًا :

ـ (غادة) .. لماذا تعاملييننى على هذا النحو ؟ إننى أحبك .

قالت وهى تتراجع فى مقعدها :

ـ وأنا أكرهك .

قال لها (كمال) وهو يحاول الاقتراب منها : .

ـ أنت تقولين هذا من وراء قلبك .. أنت تحبيننى ، ولكنك غاضبة منى ، لما فعلته معك فى الماضى .. ولكن لماذا لا ننسى الماضى ؟ إننى الآن أحبك بصدق وإخلاص ، ولم أعد أقوى على الابتعاد عنك .

قالت له (غادة) وهى تنظر إليه بخوف وامتعاض :

ـ من فضلك ابتعد عنى .. أرجوك دعنى أرحل عن هنا .

قال لها ، وهو يحيطها بذراعيه :

ـ لا يا (غادة) .. لم أعد قادرًا على الابتعاد عنك أكثر من هذا .. أنت الآن لى وستبقين لى إلى الأبد .

قالت وهى تزيحه عنها بيدها :

ـ ابتعد وإلا صرخت .

قال (كمال) وهو يشدها إليه :

ـ لن يسمع أحد صراخك فأنت فى الصحراء .. ومن الأفضل أن تكونى أكثر رقة معى، ولاتضطرينى إلى معاملتك بخشونة .

ولم تجد (غادة) ما تدافع به عن نفسها سوى طفاية الحريق ، التى كانت على مقربة منها ، فامتدت يدها إليها لتتناولها .. ثم هوت بها على رأسه . وترنح (كمال) من قوة الضربة ، وإن حاول أن يتجنب تعرضه لفقدان الوعى ، فى حين انتهزت (غادة) الفرصة .. وفتحت باب السيارة لتنطلق عبر الصحراء على غير هدى ، فحاولة الابتعاد بقدر الإمكان عن ذلك الرجل الذى أثار خوفها وكراهيتها .

وكان (سمير) مازال يحاول إقناع سائق سيارة الأجرة بمواصلة السير عبر تلك المنطقة الصحراوية .. والسائق يرفض ذلك معارضًا التوغل لأكثر من ذلك فى هذه المنطقة البعيدة عن العمران . وما لبث أن لمحها .. فقال للسائق :

ـ انتظر لحظة .

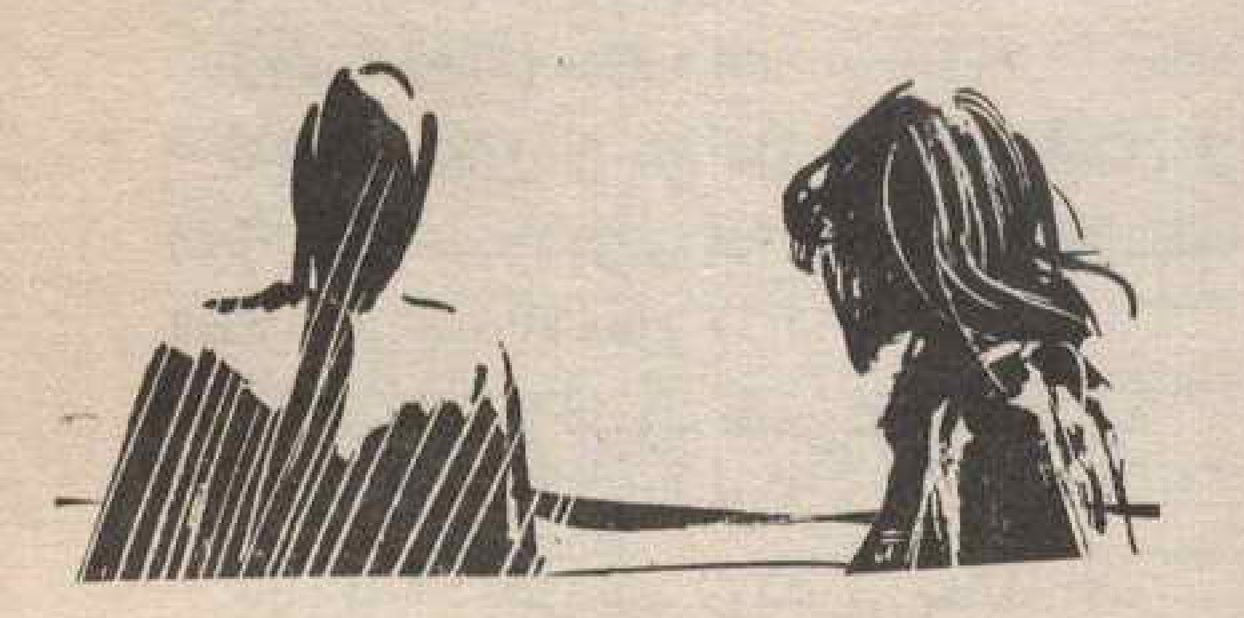
ثم اندفع إليها .. كانت مشعثة الشعر ، وقد بدت فى حالة شديدة من الاضطراب فناداها باسمها . وما إن رأته حتى جمدت فى مكانها للحظة .. وهى لا تصدق أنها تراه . ثم ما لبثت أن اندفعت نحوه لتلقى بنفسها بين ذراعيه ، وهى تجهش بالبكاء .. وسألها قائلًا :

ـ ماذا بك ؟ ما الذى حدث ؟

ولكنها قالت له من خلال دموعها ، وهى ترتعد بين ذراعيه :

ـ أرجوك يا (سمير) .. خذنى بعيدًا عن هنا .. بعيدًا جدًا .

★ ★ ★



١٢ ـ سأحبك دائمًا ..

اصطحبها إلى الشاطئ .. حيث سارت بجواره وقد هدأت خواطرها قليلًا ، وسألها قائلًا :

ـ ألا ترين أنه من الأفضل ، أن أعود بك إلى تلك الأسرة ، التى تقيمين لديها ؟ ربما يكونون الآن قلقين عليك .

ـ أريد أن أبقى معك لبعض الوقت .

ـ كما تريدين . ما رأيك لو جلسنا الآن تحت مظلتى فلابد أنك قد تعبت من السير ؟

وجلست (غادة) بجواره قائلة :

ـ إنك لم تحاول أن تلح علىّ هذه المرة أيضًا ، فى السؤال عن سبب وجودى هنا وذهابى إلى تلك البقعة المنعزلة فى صحراء مطروح .

ـ لقد سألتك من قبل ولم تقدمى لى إجابة شافية .

ـ هذه المرة سأشرح لك كل شىء .

قال لنفسه : أخيرًا تريد أن تخبرنى بحقيقة الأمر ..

منذ انتحار تلك السيدة ، وهو يتمنى أن تتكلم ، غير أنه شعر الآن بأنه لا يريد أن يسمع قصتها . لقد أصبح يخشى مما يمكن أن تقوله .. يخشى أن يؤدى ذلك إلى قطيعة نهائية ، ونهاية لكل ما كان يربط بينهما ، خاصة بعد أن شاهدها مع ذلك الشخص .. وبعد لقائه الغريب بها فى الصحراء وهى تفر هاربة .

وهم بأن يقول لها « لا داعى لأن تتكلمى .. لا تفشى سرًا قد ينتهى بنا إلى قطيعة كاملة » .. ولكنها تكلمت ولم يقل شيئًا .

وقالت بلهجة المقرّ بذنبه :

ـ كان ذلك منذ عامين .. كنت قد سافرت مع أخى (مجدى) للتعاقد على شراء بعض الماكينات الجديدة لشركته ، وألح عليك لكى تصاحبه فى السفر إلى ألمانيا . وبقيت أنا هنا وحدى .. حيث شعرت بافتقاد شديد لكما ، حاولت تعويضه بالسفر إلى المزرعة . ولكن المزرعة بدت كئيبة بدونكما ، فاقترحت على خادمتى أن نذهب لقضاء بضعة أيام فى منزلنا بالإسكندرية .. فوافقت على الفور . ولم يقض ذهابى إلى الإسكندرية ، على حالة الملل والكآبة التى مررت بها هذه الأيام ، ولكن حدث ذات صباح ، وكنت أسير على الشاطئ ، أن قابلت شخصًا يدعى

(كمال حلمى)، وعمل هذا الشخص على التقرب إلىّ ..
وأعترف أنه أسهم فى القضاء على تلك الحالة النفسية
التى تعرضت لها، على إثر غيابكما المفاجئ من حياتى.
كان بارعًا فى أسلوبه وجذابًا .. وظل يلاحقنى أينما ذهبت،
ويبثنى عبارات رقيقة لم أسمع مثلها من قبل .. فظننت أنى
أحببته، بل .. لقد استولى على كل مشاعرى فى هذه
الفترة .. ولابد أن أعترف لك بذلك. كنت أنت موجودًا
دائمًا فى حياتى .. ولكنك كنت متباعدًا عنى .. ضنينًا
بمشاعرك، أما هو فقد حاصرنى بمشاعر فياضة وتمكن
من التسلل إلى مشاعرى، دون أن أقوى على مقاومته.
وطلب منى أن أتزوجه. فلما أخبرته بأن ذلك قد يلقى
معارضة من أخى .. طالبنى بأن نتزوج سرًا ولا نخبر أحدًا
فى الوقت الحاضر .. ولا أدرى كيف وافقته على ذلك، كل
ما أستطيع أن أقوله، هو أننى كنت فى هذه الفترة، أبدو
وكأننى مسلوبة الإرادة، بل تستطيع أن تقول إننى كنت
حمقاء أو مجنونة. تزوجته دون أن أعرف عنه شيئًا،
أكثر من أنه شاب جذاب ساحر الحديث، ولكننى عرفت
عنه كل شىء فيما بعد. عرفت أننى تزوجت من نصاب ..
وأنه تزوج من قبلى ثلاث مرات .. كما أن له العديد من
العلاقات، التى كان يسخرها دائمًا لتحقيق أطماعه

المادية، وابتزاز الفتيات الثريات اللاتى يعمل على
الاستيلاء على أموالهنّ. وعندما اكتشفت الحقيقة انقلب
حبى له إلى كراهية شديدة، وطلبت منه أن يطلقنى ..
فساومنى على المبلغ الذى يتعين علىّ أن أدفعه ثمنًا لهذا
الطلاق واستقر بنا الأمر على أن أدفع له عشرين ألف
جنيه، فى مقابل أن يطلق سراحى، ويمنحنى حريتى، مع
إخفاء حقيقة ما حدث. وبما أن حساباتى كلها، ومعاملاتى
المالية كانت فى حوزة (مجدى) .. الذى كان قد أودعها
بدوره فى خزينته الخاصة فى ذلك الوقت .. وكان مسافرًا
إلى الخارج، لم أجد أمامى إلا (فايزة ناصر) لكى أستدين
منها هذا المبلغ. وكنت أعرف أنها تحتفظ بخمسين ألفًا من
الجنيهات فى مكان ما بشقتها وهى ثمن بيع منزل كانت
تمتلكه. ولم تمانع تلك السيدة فى إقراضى المبلغ الذى
أردته، برغم ما اشتهر عنها من بخل. وقدمت له المبلغ
الذى أراده، فألقى علىّ يمين الطلاق .. ثم علمت أنه غادر
مصر بعد يومين مهاجرًا إلى كندا .. بعد أن كاد أقارب
إحدى السيدات التى أوقعها فى حبائله أن يفتكوا به، بعد أن
تبين لهم حقيقته. كان يتعين علىّ أن أفضى إليك وإلى
(مجدى) بسرّى، ولكنى لم أجرؤ على ذلك، ثم جاء اليوم
الذى عرضت علىّ فيه أن نخرج معًا لتناول العشاء،

فاعتذرت بحجة ذهابى إلى (فايزة ناصر) ومع أنى اتصلت بها بالفعل لأخبرها بأننى سأحضر إليها فى تلك الليلة إلا أننى لم أذهب .. لأننى اكتشفت أنه قد عاد إلى مصر فجأة، وأرسل إلىّ فى ذاك اليوم، طالبًا منى أن أقابله، وهددنى بألا أتخلف عن الميعاد .. وكان ذلك اليوم الذى قابلنى فيه، هو نفس اليوم الذى انتحرت فيه (فايزة ناصر) وما لبث أن أطلعنى على أمر لم أكن قد أعددت نفسى له، وهو أنه وإن كان قد ألقى علىّ يمين الطلاق، إلا أنه لم يرسل لى وثيقة رسمية بذلك. وأنه قد ذهب فى اليوم التالى، إلى المأذون الذى عقد علينا تلك الزيجة التى دامت لأسبوعين فقط .. وردّنى إليه وفقًا لما تنص عليه الشريعة .. وأننى بذلك ما زلت زوجته دون أن أدرى .. وما زال زواجه بى صحيحًا. كما أخبرنى بأنه لن يطلقنى هذه المرة بوثيقة رسمية أو بدونها وانتحرت (فايزة ناصر) .. وحدث ما حدث .. وما تعرفه عن تحقيقات الشرطة والنيابة وشكوك أخى .. فلم يسعنى إلا أن أدعى بأننى كنت معك، وجئت إلى مرسى مطروح .. بحثًا عنك، فوجدته يلاحقنى إلى هنا .. وعاد لمساومتى مرة أخرى على موضوع الطلاق .. كما عرض علىّ تقديم بعض الصور، التى كانت تجمعنا معاً أيام زواجنا فى

الإسكندرية، فى مقابل رفع قيمة المبلغ المتفق عليه .. وأن علىّ أن أذهب معه إلى الفندق الذى ينزل فيه، لكى يقدم لى هذه الصور. ولكنه تراجع عما قاله، وانعطف بسيارته إلى أحد الطرق الصحراوية حيث حاول الاعتداء علىّ .. ولولا أننى ضربته على رأسه بطفاية الحريق، ولولا وجودك قريبًا من هذا المكان فى تلك اللحظة، لما كنت قد استطعت الهرب من ذلك الشيطان.

وأمسكت عن الكلام .. وهى تراقب انفعالاته .. ثم ما لبثت أن قالت:

- هذه هى الحقيقة كاملة .. فهل قلت شيئًا ؟

أطلق زفرة حارة من صدره، قائلًا:

- لماذا أخبرتنى بذلك الآن ؟

- لأننى أحبك يا (سمير).

لم يقل (سمير) شيئًا، بل نهض من مكانه .. وسار حتى وصل إلى حافة الأمواج المتلاطمة، والتى لامست قدميه وقد أدار لها ظهره. وأحست (غادة) بأن كل ما كان بينهما قد انتهى فى هذه اللحظة .. وأن النهاية التى توقعتها قد جاءت .. ولكنها لم تكن نادمة على ذلك .. لقد أخبرته بالحقيقة، وأزاحت كابوسًا ثقيلًا ظل جاثمًا علىّ قلبها، ولم يعد متبقيًا أمامها الآن، سوى أن تعيش مع جراح هذا القلب وحدها .. وأن تدفع ثمن الخطأ الذى ارتكبته.

ونهضت (غادة) بدورها وهى كسيرة النفس .. لتتخذ لنفسها وجهة أخرى ، مبتعدة عن الشاطئ ، وقبل أن تبتعد تطلعت إليه وهى تهمس لنفسها قائلة :

ـ وداعًا يا (سمير) .

التفت (سمير) ليجدها قد فارقت مظلته .. ولمحها وهى تبتعد عن المكان ، فاندفع وراءها ، وأمسك يدها قائلًا :

ـ إلى أين تذهبين ؟

أجابته قائلة :

ـ سأعود إلى القاهرة .. لم يعد هناك ما يستدعى وجودى هنا .

ـ سأعود معك .

ـ لا يوجد ما يدعوك إلى ذلك .

قال لها بصوت هامس :

ـ (غادة) .. أنا أيضًا أحبك .

نظرت إليه وقد ارتد إليها الأمل ، قائلة :

ـ تقصد أنك كنت تحبنى ؟

قال مؤكدًا :

ـ بل أقصد أننى كنت أحبك ، وما زالت أحبك .. وسأبقى أحبك دائمًا .

تهلّل وجهها بمعالم الفرحة ، قائلة وهى غير مصدقة :

ـ أتعنى ذلك حقًا يا (سمير) ؟

أجابها قائلًا :

ـ ومتى كذبت عليك ؟

ـ إذن فقد غفرت لى .

ـ نعم .. وأدرك جيدًا أن ذلك الأفاق قد غرر بعواطفك .. وأعتقد أننى أتحمل جانبًا من المسئولية فى ذلك الشأن .. فقد تعمدت أن أقابل مشاعرك المتفتحة نحوى دائمًا بالجفاء .. ولكن ذلك لن يحدث بعد الآن . المشكلة التى تواجهنا والتى يتعين علينا أن نجد لها حلًا الآن .. هى أنك ما زلت زوجة لهذا الرجل من الناحية الشرعية .

ـ إننى لا أعد نفسى زوجة له .. لقد اعتبرت أن كل ما بيننا قد انتهى منذ أن ألقى علىّ يمين الطلاق .

ـ ولكن إذا كان قد ردك بالفعل ، فى خلال فترة العدة على النحو الذى ذكره ، فهذا يعنى أنك ما زلت زوجته .

ـ إننى أفضل الموت على أن أبقى زوجة له .

ـ دعينا نعد الآن إلى القاهرة .. ولابد أن نشرك (مجدى) فى الأمر ونشرح له كل شىء .. ثم نبدأ فى اتخاذ الإجراءات اللازمة لحل هذه المشكلة ، والخلاص من هذا الرجل .. هذا هو الإجراء الصحيح .

★ ★ ★

١٣ ـ لن ننساه ..

عادت (غادة) مع (سمير) إلى القاهرة، حيث وجد أن (مجدى) مازال فى المزرعة .. فذهبا إليه . واستقبلهما بفرحة غامرة .. وهو يقول :

ـ حمدًا لله .. لقد كنت أشعر بوحشة بالغة فى غيابكما .

بكت الفتاة على صدر أخيها، وهى تقول :

ـ وأنا أيضًا افتقدتك كثيرًا يا (مجدى) .

ابتسم (مجدى) وهو ينظر إلى صديقه قائلًا :

ـ كنت أعرف أنكما ستتلاقيان هناك، وأنك ذاهبة من أجل (سمير) .

حاول (سمير) أن يتكلم .. ولكن (مجدى) قاطعه وهو يمسك بساعده، قائلًا :

ـ لست بحاجة لكى تشرح لى شيئًا أنا أعلم أن كلًا منكما يحب الآخر، والأيام التى قضيتها هنا بمفردى، أثبتت لى أننى لن أستطيع الاستغناء عن أحدكما، إننى أريدكما معى وبجوارى، كما كنا دائمًا منذ الطفولة .. ولن أسمح للعقد الاجتماعية أو المادية بأن تفرق شملنا .. لذا يا (سمير) فإننى لن أنتظر حتى تطلب منى الاقتران بأختى .. إننى أعلن لك موافقتى على ذلك منذ الآن .

نظر (سمير) إلى صديقه، وقد اغرورقت عيناه بالعبرات من شدة الامتنان، وقد تجلت فى عينيهما مشاعر الحب الأخوى الصادق . وقال له :

ـ مهما قلت من كلمات .. فلن تفلح فى التعبير عن مشاعرى هذه اللحظة، إن زواجى من (غادة) هو الأمنية التى ظللت أحلم بها طوال حياتى .. ولكن ...

قاطعه (مجدى) مرة أخرى، قائلًا :

ـ ولكن ماذا ؟ قلت إننى غير مستعد لجعل تلك العقد الطبقية القديمة تتحكم فى سعادتنا .. وعليك أيضًا أن تنحى جانبًا حساسيتك تجاه هذه المسائل .

فقال (سمير) :

ـ ليس هذا هو ما أقصده . ولكن أمامنا مشكلة يتعين علينا أن نحلها أولًا، قبل أن نتكلم فى شأن زواجى من (غادة) .

قال له (مجدى) بدهشة :

ـ مشكلة .. أية مشكلة ؟

قال (سمير) :

ـ مشكلة متعلقة بـ (غادة) .. وهى تتعلق أيضًا بسر الغموض الذى أحاط بها، خلال الأيام الأخيرة منذ انتحار تلك السيدة .. والذى حاولت أن تستكشف أسبابه .

سأله (مجدى) :

ـ ماذا تعنى ؟

قال (سمير) :

ـ سأدع (غادة) تروى لك كل شىء .. وأعتقد أنك ستستمع إليها بنفس الروح التى عهدتها فيك دائمًا .. كأخ محب .. حنون .. واسع الصدر وحكيم .

نظر (مجدى) إلى أخته بقلق قائلًا :

ـ تكلمى يا (غادة) .. قولى ما عندك .

قصت عليه (غادة) قصتها .. نفس ما روته لـ (سمير) من قبل دون أن تخفى أية تفاصيل ، وظل (مجدى) صامتًا لبرهة من الوقت ، بعد أن روت عليه قصتها .. ثم قال لها :

ـ أعتقد أنه ذلك الشخص الذى صافحك فى النادى .

أجابته قائلة :

ـ نعم .

أطلق (مجدى) زفرة قصيرة ، قائلًا :

ـ إننى لم أرتح له منذ الوهلة الأولى .. فقد بدا لى شخصًا لا يبعث على الثقة .

وبدا أنه غير قادر على السيطرة على مشاعره ، وهو يقول لها بحدة :

ـ مما لا شك فيه أنك قد أخطأت .. أخطأت خطأ كبيرًا فى حقى وفى حق نفسك ، بتلك الزيجة السرية .. لكن الخطأ الأكبر ، هو أنك لم تطلعنى على الحقيقة فى حينها .

قالت (غادة) وهى تمسك بيده :

ـ صدقت ، وأنا نادمة على ذلك .. وأرجو ألا تكرهنى بعد ما سمعته منى .

سحب (مجدى) يده منها قائلًا :

ـ ربما أكون غاضبًا منك .. ولكننى لا أستطيع أن أكرهك ..

ثم صمت برهة قبل أن يقول :

ـ المهم أنه يتعين علينا الآن أن نجد حلًا لهذه المشكلة .

قالت (غادة) :

ـ افعل أى شىء .. ولكن لا تدعنى أسيرة لهذا الرجل .

واحتضنها قائلًا :

ـ اطمئنى ، لن أسمح له بأن يمس شعرة من شعرك بعد الآن .

ونظر إلى صديقه ، قائلًا :

ـ (سمير) .. دعنا نذهب الآن إلى المحامى لنتبين حقيقة الموقف ، علنا نجد لديه وسيلة لتطليقها منه بالطرق القانونية .

فقال (سمير):
- سآتى معك .
وقالت (غادة) :
- وأنا أيضًا سأعود معكما .
فقال لها (مجدى) :
- بل ستبقين أنت هنا فى انتظارنا .. وتأكدى أننا لن نعود إلا بعد حسم الأمر مع ذلك الرجل .
وهرولت (غادة) خلف أخيها ، قائلة :
- (مجدى) .. قل لى إنك قد غفرت لى كما قالها (سمير) .
ضمها إلى صدره بحنان ، قائلًا :
- وماذا أملك غير ذلك لأختى وابنتى وصديقتى الوحيدة ؟.. وعفا الله عما سلف ، وعليك أن تستعدى منذ الآن لإلقاء الماضى وراء ظهرك ، وفتح ذراعيك لمستقبل سعيد مع الشخص الذى تحبينه .
قال ذلك وخرج مسرعًا ، فى حين وقفت (غادة) حيث تركها وهى ترقبه ، وقد استقل سيارته بصحبة (سمير) .
وعاد إليها (مجدى) بعد ستة أيام ، فاستقبلته بفرحة طاغية .. وسألها قائلًا :
- هل تناولت عشاءك ؟

قالت :
- لا .. لست أشعر برغبة فى ذلك .
فقال (مجدى) :
- ولكنى أريد أن أتعشى معك .. فهل تعملين خاطرًا لأخيك ؟
ابتسمت (غادة) قائلة :
- بالطبع يا حبيبى .. سأعد لك العشاء بنفسى فورًا .
أجتذبها من ذراعها ليجلسها بجواره ، قائلًا :
- بل .. دعى الخادمة تعده .. أريد أن تبقى بجوارى .
نظرت إلى وجهه بقلق قائلة :
- (مجدى) .. ماذا بك ؟ وأين (سمير) ؟
أجابها قائلًا :
- (سمير) مازال فى القاهرة .. لم أخبره بأننى سأعود إلى المزرعة .. فقد أردت أن نقضى هذه الليلة معًا بمفردنا .
عادت أخته لتسأله بقلق :
- (مجدى) .. هل حدث شىء ؟
تنهَد قائلًا :
- لقد قابلت المحامى .. وأخبرنى بأن موقفنا ضعيف .. وأن الإجراءات المتبعة فى مثل هذه الحالات .. تستغرق وقتًا طويلًا قد يمتد إلى سنوات . ولكن الأسوأ من هذا ، هو أن ذلك الأفاق حضر إلىّ فى الشركة ، وأطلعنى على حقيقة

الأمر .. ثم قال إنه لجأ إلىّ للتحدث معى بطريقة ودية فى شأن عودتك إليه . وثرت عليه .. ولكنه هددنى بنشر حقيقة الأمر بين الجميع ، وجلب الفضيحة لى ولك ، عندما يطلع كل شخص على أمر زواجك السرى منه .. وأنه من الأفضل لنا أنْ نعلن ذلك الزواج بطريقة رسمية ، وأن نقبله زوجًا لك أمام الجميع ، حتى لو أقتضى الأمر إقامة حفل عرس .. وأنه يفعل ذلك تطوعًا منه حفظًا لكرامتنا أمام الجميع . وقلت له إننى أرفض أن يستمر زوجًا لأختى ، فأخبرنى بأنك زوجته شرعًا وقانونًا ، وأن القانون فى صفه .. وأننا إذا لم نقبل العرض الذى قدمه لنا ، فسوف يشهر حقيقة هذا الزواج ، وسوف يطلبك فى الطاعة .

ارتعدت (غادة) لمجرد تصور ذلك ، فى حين أردف (مجدى) :

ـ حاولت أن أتعامل معه باللين ، وساومته على المبلغ الذى يريده فى مقابل إنهاء هذا الزواج .. ولكنه أصر على التمسك بك .. ويبدو أن أطماعه تتجاوز المبالغ الكبيرة التى عرضتها عليه . إنه يهدف إلى الاستحواذ عليك وعلى ثروتك كاملة .. وربّما يفكر أيضًا فيما يمكن أن ينول إليك من ميراث بعد موتى .

غمغمت (غادة) :

ـ حفظك الله .. أنا المسئولة عن كل هذا .. لقد جلبت لك متاعب أنت فى غنى عنها ، وتدفقت العبرات من عينيها .. فمسحها أخوها بيده فى حنان قائلًا :

ـ دموعك هذه غالية عندى يا (غادة) .. لا تقلقى سنجد حلًا لهذا الأمْر .

قالت (غادة) :

ـ ولكنه يوصد كل الأبواب .

قال (مجدى) :

ـ سأتحدث معه مرة أخرى .. وسأعرض عليه مبلغًا أكبر .. تأكدى أننى لن أترك وسيلة لكى أنقذك بها من ذلك الرجل .. لقد وعدتك من قبل بإنك لن تكونى له ، وسأفى بوعدى .

ونظر إلى المائدة المعدة ، وهو يبتسم قائلًا :

ـ والآن ، هيًا بنا لنلتهم الطعام .

وظل طوال العشاء يمازحها .. ويحاول التسرية عنها ، لكى لا تشغل تفكيرها بتلك المحنة .. وبذل كل جهده لكى ينزع عنها أحزانها . وسألته قائلة :

ـ وأنت يا (مجدى) .. ألن تتزوج ؟

ضحك قائلًا :

ـ وما الذى جعلك تفكرين فى ذلك الآن ؟

ردت (غادة) :
- إننى أفكر فى ذلك دائمًا .. وأنا أشعر برغبة شديدة فى أن أراك متزوجًا .
فقال (مجدى) :
- سأفعل بعد أن تتزوجى من (سمير) .
قالت بلهجة حزينة :
- هل تعتقد أنه سيمكننا أن نتزوج بالفعل ؟
أجابها :
- ستتزوجان .. إننى أعدك بذلك أيضًا .
قالت بلهفة :
- ليت هذا الحلم يتحقق .. ليتنا نتزوج جميعًا فى ليلة واحدة .
ضحك (مجدى) مرة أخرى ، قائلًا :
- حسن .. ابدئى فى البحث لى عن عروس منذ الآن .
سألته قائلة :
- حقًا يا (مجدى) ؟
نظر (مجدى) إلى ساعته قائلًا :
- لقد تأخر الوقت .. اذهبى لتنامى الآن ، وسنتحدث فى تلك الأمور فيما بعد .
قالت له (غادة) :

- ولكنى أريد أن أبقى معك قليلًا :
قال وهو يساعدها على النهوض :
- ولكنى أيضًا بحاجة إلى النوم .. فسوف أعود إلى القاهرة صباح الغد .
ولكنه لم ينم فى تلك الليلة .. بل ظل ساهرًا وهو يفكر فى أمر أخته ، وقد أطلق العنان لهمومه من أجلها ، وقد حاول إخفاءها طوال الساعات التى قضاها معها وما إن بدأت الساعات الأولى من الصباح ، حتى ذهب إلى غرفة أخته ، وألقى عليها نظرة طويلة وهى نائمة .. ثم أسرع ليستقل سيارته عائدًا إلى القاهرة ، وبعد يومين جاءها والد (سمير) حيث استقبلته بترحاب قائلة :
- عم (محمود) .. مرحبًا بك .. كم أنا سعيدة لرؤيتك .. فأنت لم تحضر إلينا منذ فترة طويلة .
ولكن الرجل بدا مهمومًا وحزينًا ، وهو يقول لها :
- لا أدرى ماذا أقول لك يا بنيتى .. ولا أعرف كيف أنقل هذا الخبر الذى لم يقو أحد على أن يخبرك به ؟
خفق قلبها وقد أحست بأنها على وشك سماع كارثة .. فقالت له بصوت مضطرب .
- ماذا حدث يا عم (محمود) .. بالله عليك أخبرنى ماذا حدث ؟

قال لها ، وهو يتحاشى أن تلتقى عيناه بعينيها :

ـ البقية فى حياتك يا بنيتى .. لقد توفى أخوك إثر حادث تصادم .

أطلقت (غادة) صرخة مدوية .. وسقطت مغشيًا عليها .

★ ★ ★

تحجرت العبرات فى عينيها وهى تشيع أخاها إلى مثواه الأخير .. أحست وكأن جزءًا من نفسها قد دفن معه .

إنها مازالت تعيش الصدمة حتى هذه اللحظة ، وبدا وكأنها لاتصدق أن أخاها قد مات .. لقد أصبحت يتيمة يوم أن توفى أبوها وأمها وهى مازالت صغيرة وكان (مجدى) هو التعويض الذى عوضها به الله عن حرمانها من الأب والأم فى هذه السن المبكرة .. وها هى ذى تعود إلى اليتم من جديد بعد موته .

واقترب (سمير) منها ، ليحيط كتفها بساعده قائلًا :

ـ إننى أقدر حقيقة مشاعرك فى هذه اللحظة .. ولكن لابد لنا من أن نتغلب على أحزاننا .. فلم يكن هناك ما يشقيه قدر أن يراك حزينة .

قال لها ذلك ، دون أن يقوى على مغالبة العبرات التى تدفقت على وجنتيه .. لقد كان يعزيها وهو أحوج منها إلى العزاء فى صديق عمره . أما هى فقد جفت العبرات فى عينيها التى تورمت من شدة البكاء ، وسألته قائلة :

ـ و (كمال) .

أجابها قائلًا :

ـ لقد توفى أمس فى المستشفى .

سألته (غادة) :

ـ وما الذى جعله يدعوه لركوب سيارته فى ذلك اليوم ؟

أجابها (سمير) :

ـ لا أدرى .. كل ما عرفته ، هو أننا حاولنا مساومته فى هذا اليوم من جديد ، لكى يطلق سراحك ، ولكنه أصر على عودتك إليه .. ولم يقبل أية مساومة ، حتى أننى انفعلت عليه وهممت بأن أضربه فى مكتب (مجدى) .. لكنه منعنى من ذلك ، وطلب منى بإصرار أن أنصرف ، وأتركه معه . ولما عارضته قال إنه يرجونى أن أفعل ذلك من أجل الصداقة التى بيننا ، وإنه سيتصل بى مساءً ليخبرنى بما انتهى إليه الأمر مع ذلك الأفاق ، فاضطررت إلى أن أنصرف إزاء إلحاحه وإرضاء لخاطره . ويبدو أنه أقنعه بمصاحبته فى سيارته للتفاهم من جديد ، أو أخبره بأنه سيجعله يلتقى بك لوضع الأمور فى نصابها .. لا أدرى . كل ما أعرفه ، هو أننى علمت فيما بعد ، أن (مجدى) قد انطلق بالسيارة مسرعًا ، وأنه اصطدم بإحدى سيارات

النقل القادمة من الطريق الآخر ..فانقلبت به السيارة حيث فارق الحياة .. بينما نقل الآخر إلى المستشفى حيث مات بالأمس .

دفنت رأسها فى صدره ، وهى ترتعد قائلة :

ـ هذه الحادثة متعمدة يا (سمير) .. لابد أنه ضحى بنفسه ليقضى على (كمال) معه ، وينقذنى من شروره ، بعد أن فشل فى إقناعه بالابتعاد عنى إننى أعرف (مجدى) جيدًا ، إنه على استعداد لعمل أى شىء من أجلى ، حتى ولو أدى الأمر إلى التضحية بحياته .. لقد كانت كل تصرفاته معى فى لقائنا الأخير بالمزرعة تنبئ بأنه مقبل على أمر خطير .. وقد أراد أن يرانى قبل أن يقدم عليه .

وأجهشت بالبكاء مرة أخرى ، وهى تردد قائلة :

ـ أنا السبب .. أنا السبب .

تناول (سمير) وجهها بين يديه ، وهو ينظر إليها قائلًا :

ـ أرجوك يا (غادة) لا تحاولى أن تعذبى نفسك على هذا النحو .. ولا تحملى نفسك بذنب قد لا يكون له أى أساس .. هذا الحادث قدرى .. ولم يكن لأحد دخل فيه .

نظرت إليه بعينين مغرورقتين بالعبرات ، وهى تقول :

ـ أتستطيع أن تؤكد ذلك ؟

ـ لم يجيبها على سؤالها .. بل عاد ليضمها إلى صدره من جديد ، قائلًا :

ـ أستطيع أن أؤكد لك شيئًا واحدًا فقط .. وهو أننى سأكون لك دائمًا الزوج والحبيب والأب والأم والأخ والصديق . سأبذل كل جهدى لكى أعوضك عمن فقدتهم .. ولن أتوانى عن إسعادك والعمل على راحتك .. ليس من أجلك فقط ، ولكن من أجل (مجدى) أيضًا . سأكمل رسالته معك يا (غادة) .. ولن ننساه .. لن ننساه أبدًا .

★ ★ ★

(تمت بحمد الله)

زهور

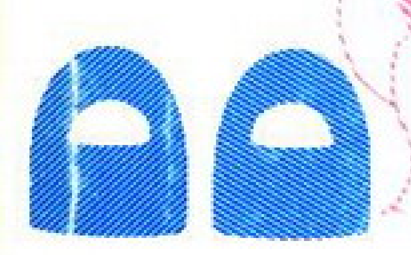
سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

المؤلف



أ . شريف شوق

السلسلة الوحيدة التى لا يجد الأب أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل



اغفر لى

فى حياة (غادة) سرّ غامض

حرصت دائمًا على أن تخفيه .. ولكن

شبح الماضى عاد ليظهر فى حياتها

من جديد ،

وأصبح سرها .. سببًا لعذابها

وعذاب من أحبها

الثمن فى مصر ١٢٥ ق

وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم